
المكتبة الثقافية
بيروت

أجاثا كريستي

موعد مع الموت

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الفصل الاول

لقد الح علي الكثيرون بأن أكتب هذه القصة، فلم أر مناصاً من الاستجابة الى هذا الإلحاح .

بيد اني لا أكتمك ، أيها القارىء ، أن بعض الوقائع قد فاتتني ، فكان لا بد ان أستعين بمذكرات السير أوستاس بيدلر ، لأنقل عنها ما أسد بـه هذه الثغرات .

***

كان أبي البروفيسور بيدنجفيلد من أكبر العلماء في انجلترا في علم الإنسان البدائي وكانت مؤلفاته مرجعاً نفيساً، ولكنه مات فقيراً، لأن كتبه لم تكن تلقى لها سوقاً إلا عند العلماء دون الجماهير ، فكان ما يطبع منها محدوداً يدر عليه دخلاً قليلاً .

ولما مات أبي اضطررت ان أهجر القرية التي نشأت فيها ، وأن أستقر في لندن ، سعياً وراء عمل أرتزق منه .

وذات يوم من أيام شهر يناير ، الثامن منه ، كنت راجعة من لقاء فاشل مع سيدة زعمت في إعلانها انها في حاجة الى سكرتيرة ، فلما تداولنا في الأمر

أدركت انها إنما تريد في الواقع شغالة لا سكرتيرة .

وهبطت الدرج المؤدي الى نفق القطار الكهربائي ، وجعلت أتمشى على الرصيف أترقب قدوم قطاري . وبلغت نهاية النفق ، وكان المكان خالياً ليس فيه أحد من الركاب سوى رجل واحد ، كان واقفاً على الرصيف ، ينتظر قدوم القطار .

ومررت بالرجل وتجاوزته ، وعند ذلك نفثت من صدري عطسة شديدة فقد كان معطف الرجل يفوح بالنفتالين الذي يزكم الأنوف . وكانت رائحة النفتالين النفاذة أشد مما أحتمل . كان الرجل ضئيل الجسم ، نحيف البنية ، تشوب وجهه سمرة واضحة ، وله عينان زرقاوان ولحية صغيرة سوداء .

وفي هذه اللحظة استدار الرجل كأنما ليتابع المشي على رصيف القطار . وتطلع إلي برهة ، ثم تجاوزت عيناه كتفي الى شيء ورائي ، فانقلبت سحنته ، وتبدت في سيماه أمارات الخوف ، بل الهلع وارتد الرجل خطوة الى الوراء كأنما ليتقي خطراً داهماً مفاجئاً ، ونسي وهو في غمرة ذعره انه كان واقفاً على حافة الرصيف ، وسقط فوق القضبان والأسلاك الكهربية ، فانبعث منها وميض صاعق وقرقعة شيء يحترق .

وأطلقت صرخة مدوية ، وهرع الناس راكضين على صرخي .

لقد صعق التيار الكهربائي الرجل المسكين

ونقل رجال المحطة الجثة الى الرصيف .

وبرز من بين الجمع رجل طويل القامة رمادي اللحية عريض المنكبين ذو رأس منبعجة ، وهو يقول :

— إسمحوا لي ان أمر .. إنني طبيب .

وانحنى فوق الرجل المسجى فوق الرصيف ، ومضى يفحصه .. ثم ما لبث ان انتصب قائماً وهو يقول :

— لا أمل يرجى .. إنه ميت دون شك .

وداخلني شعور بالغثيان ، وهرولت أنشد المصعد ، وكان الطبيب الذي فحص الجثة يتقدمني بخطوة أو خطوتين .

رأيت المصعد يهبط ويخرج منـه مستقلوه ، وأسرع الطبيب يجري ليلحق به قبل أن يعاود الصعود ، وفيما هو يفعل ذلك سقطت منه ورقة واستقرت على الأرض .

وانحنيت التقط رقعة الورق ، وجريت في أعقابه لاعيدها اليه ، ولكن أبواب المصعد كانت قد انطبقت ، وأخذ في الصعود .

ولم يكن مدوناً بالرقعة إلا بضعة أرقام وكلمتان وكان هذا نصها :

« ١٧ - ٢٢ - ١ قصر كيلمورتن » .

وهممت بأن أقذف بالورقة إلى قارعة الشارع وأمضي في طريقي ، ولكن زكمت أنفي في هذه اللحظة رائحة النفتالين النفـــاذة ، وكانت هذه الرائحة منبعثة من الورقة التي بين يدي .

وعقدت ما بين حاجبي مفكرة : لهذه الورقة رائحة النفتالين ، ولمعطف الرجل الذي وقع فوق القضبان نفس الرائحة .. فما معنى هذا ؟ .

لا بد أن هذه القصاصة كانت في جيب الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة ، وأن الطبيب نشلها وهو يفحص الجثة .

وطويت الورقة ودسستها في حقيبتي ، وعدت إلى بيت مستر فليمنج .. المحامي الذي كان يتولى شؤون أبي ، والذي تفضل واستضافني في بيته بلندن بعد أن كاشفني بالحقيقة المؤلمة وهي أن أبي لم يترك لي سوى ثمانين جنيهاً هي كل ثروته

ورويت لمسز فليمنج ما كان من أمر المأساة التي شهدتها ، ثم لذت بغرفتي ، وأسلمت نفسي الى التفكير .

جعلت أتمثل ما حدث على رصيف المحطة . الجثـة المسجاة على الأرض .. الطبيب المجهول يبرز من بين الصفوف الطبيب يفحص الجثة . الطبيب ..

وهنا فطنت الى شيء لم انتبه اليه إذ ذاك . شيء عجيب لا يمكن أن يصدر من طبيب . ونزلت الى قاعة المائدة لاتناول العشاء .

وقالت مسز فليمنج :

— لا شك انهم سوف يستدعونك لحضور جلسة التحقيق .

وعقدت جلسة التحقيق ، وصحبني مستر فليمنج الى المحكمة وتبـــين من التحقيق أن الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي يدعى « ل. ب. كارتون » . ولم يجد رجال الشرطة في جيوبه إلا تصريحاً من أحد سماسرة العقارات يخوله الحق في مشاهدة بيت معروض للايجار على ضفة النهر بالقرب من مارلو معروف باسم « فيلا الطاحونة » . .

ومن هذا التصريح استطاع البوليس أن يستدل على اسمه المدون به وهو « ل. ب. كارتون » المقيم في فندق راسل .

وقد تعرف كاتب استعلامات الفنــدق على الجثة ، وقرر أن الرجل نزل بفندقه في اليوم السابق ، ودون اسمه في السجل على انه قادم من كمبرلي بجنوب افريقيا ، وبدا له انه قادم مباشرة من الباخرة .

ولقد كنت بين الشهود الوحيدة التي تعرف شيئاً عن الحادث .

وسألني قاضي التحقيق :

أتعتقدين أن الحادث كان قضاء وقدراً .

— انني على يقين من هذا . . لقد أفزعه شيء ما ، فارتد خطوة الى الوراء دون أن يفطن الى انه واقف على حافة الرصيف فسقط على القضبان .

— ولكن ما الذي أفزعه ؟.

— هذا ما لا علم لي به .

وعقب القاضي على شهادتي بأن أصدر قراره بأن الحادث إما أن يكون قد وقع قضاء وقدراً ، أو ان الرجل تعمد أن يلقي بنفسه على القضبان المكهربة بغية الانتحار ثم استتلى القاضي يقول

ـ ولكن العجيب ان الطبيب الذي قام بفحص الجثـــة لم يتقدم للادلاء بأقواله . ومما يؤسف له ان أحداً من رجال الشرطة لم يفكر في أن يسأله عن اسمه وعنوانه .

وارتسمت على شفتي إبتسامة خفيفة وانا أستمع الى كلمات القاضي ، فقد كنت الوحيدة التي أعتقد ان هذا الحادث لم يكن قضاء وقدراً ، وان له جوانبه الخفية .

ولذلك استقر عزمي منذ هذه اللحظة على ان أقوم لحسابي الخاص بمهمة الشرطي السري .

* * *

حملت إلي صحف الصباح التالي مفاجأة مذهلة لم أكن أتوقعها . فقد صدرت صحيفة الديلي بادجيت وفي صدرها النبأ التالي بالخط العريض :

« العثور على إمرأة مخنوقة » .

وكان هذا نص ما نشرته الصحيفة :

« اكتشفت بالأمس مأساة رهيبة في « فيلا الطاحونة » في مارلو ، والتي يملكها سير اوستاس بيدلر عضو البرلمان . وهو نفس البيت الذي عثر البوليس على تصريح بزيارته في جيب ذلك الرجل المدعو كارتون الذي صعقته القضبان المكهربة . وذلك ان الحارسة عثرت على جثة امرأة حسناء في إحدى غرف الطابق العلوي وقد قتلت خنقاً ، ويقال ان القتيلة إمرأة أجنبية الجنسية وما زال التحقيق جارياً . أما سير اوستاس بيدلر فتغيب الآن عن انجلترا حيث يقضي فصل الصيف في الريفييرا .

الفصل الثاني

أسفر التحقيق في الحادث الجديد عن الحقائق التالية :.

بعد الساعة الواحدة من ظهر اليوم الثامن من شهر يناير دخلت إمرأة أنيقة تتحدث بلكنة أجنبية الى مكاتب مستر بتلر وبارك وشركاهم سماسرة العقارات في نايتسبردج ، وأبدت رغبتها في استئجـــار او شراء بيت على ضفاف نهر التيمس ، على ان يكون قريباً من لندن . وعرض عليها السماسرة قائمة بما لديهم من بيوت كان من بينها فيلا الطاحونة . وذكرت المرأة انها تدعى مسز دي كاستلينا ، وانها مقيمة في ريتز . ولكن تبين بعد مصرعها انها ليست نزيلة في هذا الفندق .

واستدعيت للشهادة مسز جيمس زوجة بستاني سير اوستاس بيدلر ، وهي الحارسة التي تشرف على الفيلا ، فقررت في أقوالها انه في الساعـــة الثالثة من نفس اليوم حضرت السيدة لمشاهدة المنزل ، وأبرزت تصريحاً من السماسرة يخولها الحق في زيارته . وزودتها مسز جيمس بالمفاتيح ، فمضت اليها وحدها دون ان تصحبها المشرفة . وبعد بضع دقائق حضر شاب وصفته مسز جيمس بأنـــه عريض المنكبين حليق اللحية يرتدي سترة رمادية . وذكر للمشرفة انه صديق للسيدة التي سبقته

وبعد خمس دقائق ظهر الشاب مرة أخرى وأعاد اليها المفاتيح ، وذكر لها

ان البيت لم يناسبها . ولم تكن السيـــدة الأجنبية في صحبة الشاب ، فخطر لمسز جيمس انها لا بد أن تكون قد سبقته الى الطريق ولكن الذي لم تفطن اليه إذ ذاك ان الشاب كان يبدو عنـدئذ منزعجاً قلقاً . وقالت « كان يبدو وكأنه رأى شبحاً »

وفي اليوم التالي جاء رجل بصحبته سيدة لمشاهدة المنزل واكتشفا الجثة مسجاة على الأرض في إحدى غرف الطابق الأعلى . وتعرفت مسز جيمس على الجثة بأنها تلك المرأة الأجنبية التي جاءت في اليوم السابق ، كما تعرف عليها السماسرة بأنها تلك التي قدمت نفسها اليهم باسم مسز كاستينا . وقرر الطبيب الشرعي ان الوفاة حدثت منذ أربع وعشرين ساعة .

وذهبت صحيفة الديلي بادجيت الى ان من المحتمل ان يتبادر الى الذهن ان رجل النفق الذي صعقه التيار الكهربائي هو الذي قتل المرأة ثم انتحر بعد ذلك . ولكن لما كان الرجل قد مات في الساعة الثانية ، بينما كانت المرأة لا تزال على قيد الحياة في الساعة الثالثة ، فلا شك منطقياً انه لا شأن لأي من الحادثتين بالأخرى اما التصريح بزيارة فيلا الطاحونة الذي وجد في جيب قتيل النفق ، والتصريح الآخر الذي جاءت به قتيلة الفيلا فلم يكن امرهما إلا مجرد مصادفة بحتة .

وكان قرار قاضي التحقيق هو « توجيه تهمة القتل العمـد ضد شخص أو أشخاص مجهولين » .

وهكذا انطلق رجال البوليس ومخبرو صحيفة الديلي بادجيت يبحثون عن الشاب ذي السترة الرمادية ، الذي جاء في أعقاب القتيلة عند ذهابها لمشاهدة فيلا الطاحونة .

وقد عثر البوليس في حقيبتها السوداء الحريرية على كيس مـــلىء بأوراق النقد وحفنة من النقد الفضي ومنديـل حريري ، وتذكرة الاياب إلى لندن . ولكن لا شيء آخر يمكن ان يكشف عن شخصيتها

كانت هذه هي التفاصيل التي نشرتها الديلي بادجيت عن هذه الأحداث ، وقد عقبت عليها بقولها : « إبحثوا عن الشاب ذي السترة الرمادية » . وكانت في كل يوم تكرر هذا النداء ولا تفتأ ترده

وهكذا استقر في أذهان الناس ان حادث فيلا الطاحونة كان جريمة قتل متعمدة ، أما حادث النفق فكان مجرد قضاء وقدر .

فهل كان حقيقة قضاء وقدراً ؟..

ذهبت الى اسكوتلانديارد ، وقابلت المفتش ميدوز ، وتبادلنا التحية في بساطة ودعاني الى الجلوس ، وسألني ان ادلي اليه بما لدي من معلومات .

وقلت له إنك سمعت طبعاً بحادث قتيل النفق ... الرجل الذي عثروا في جيبه على تصريح بزيارة فيلا الطاحونة .

فقال المفتش ميدوز في سآمة واستخفاف :

ــ آه!.. أنت إذاً مس بيدنجفيلد التي أدلت بشهادتها في المحكمة ؟..نعم.. كان في جيب الرجل تصريح بالتفرج على الفيلا ، وهذا التصريح موجود لدى كثيرين غيره ، ولكن ليس معنى ذلك انهم لا بد ان يقتلوا .

وساءني استخفافه وقلت له :

ــ ولكن ألا ترى ان من الغريب انه لم يكن في جيب الرجل تذكرة الإياب ؟ .

ــ ولمَ يبدو الأمر غريباً والكثيرون يفقدون تذاكرهم بسهولة ؟. انا نفسي سبق ان فقدت تذكرتي أكثر من مرة .

ــ ألم تلاحظ انه لم يكن معه شيء من النقود ؟..

ــ كانت معه بعض قطع من النقود المعدنية .

ــ ولكنكم لم تعثروا على محفظته

ــ كثيرون من الناس لا يحملون محافظ على الاطلاق .

ورأيت ان أحرجه من ناحية أخرى .. قلت :

– أليس غريباً ان الطبيب الذي فحص جثة قتيل النفق لم يتقدم الى قاضي التحقيق للادلاء بشهادته ؟ .
– وما وجه الغرابة في ذلك ؟ . إن الأطباء قوم مشغولون لا يجدون لحظة فراغ للتوجه إلى المحاكم .

فقلت في غيظ وحنق : إنك مصر يا سيدي المفتش على ان لا تجد وجهاً للغرابة في أي شيء أشير اليه .
فقال المفتش وعلى شفتيه إبتسامة استخفاف :
– إنني أرى يا مس بيدنجفيلد انك فتاة واسعة الخيال تتخيلين أشيـــاء لا وجود لها ، وأنا كما ترين رجل مشغول .

وأدركت انه يوحي إلي بالانصراف .
وكان في الغرفة ضابط آخر رأى ان يتدخل في الحديث قائلاً :
– أرى انه يحسن بمس بيدنجفيلد ان تدلي الينا بما لديها من معلومات .
فقال المفتش ميدوز متهكماً :
– هيا حدثيني بما تريدين .

ولذت بالصمت إذ شعرت ان كرامتي قد أهينت .
وقال المفتش : إنك قررت في التحقيق ان الحادث لا يمكن ان يكون انتحاراً ، فما الذي دفعك الى هذا الاعتقاد ؟..
– لأني رأيت على وجه الرجل قبل ان يقع فوق الأســلاك المكهربة دلائل الخوف والفزع ، فما الذي أخافه ؟.. لست انا بالطبع ، ولكن ربما كان هناك رجل يتمشى على الرصيف هو الذي أثار رعبه .
– ولكنك لم تري هذا الرجل ؟..

– كلا ، فاني لم أدر رأسي . وبمجرد ان رفعت الجثة من فوق القضبان تقدم رجل من بين صفوف الجماهير ، ومضى يفحص الجثة
فعقب المفتش في جفاء : هذا أمر طبيعي .

– ولكن هذا الرجل لم يكن طبيعياً .
فتبددت الدهشة في وجهه وتساءل :
– وكيف عرفت هذا يا مس بيدنجفيلد ؟ .

– أثناء الحرب كنت أعمل ممرضة في المستشفيات العسكرية ، ورأيت الأطباء وهم يفحصون الجثث ، ولهم في ذلك طريقة واحدة لا تكاد تختلف . كما ان الطبيب يعرف بداهة ان القلب في الجهة اليسرى من الصدر ، أما هذا الطبيب المزعوم فكان يتحسس النبض في الجهة اليمنى .
– هل فعل ذلك حقاً ؟..
– طبعاً ، وإن كنت لم أفطن الى ذلك إلا فيما بعد عندما تخيلت وضع الجثة وموقف الطبيب .
– لعلك واهمة او مخطئة .
– إن الذي أريد ان أقوله هو ان هذا الرجل طبيب كاذب مدع ، ولا شك أن غرضه من فحص الجثة هو الاستيلاء على محفظة القتيل ، ولذلك لم يعثر البوليس على محفظة في جيبه .
– هل لك ان تصفي الرجل ؟..

– طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفاً أسود ، وله لحية صغيرة سوداء مدببة ، وفوق عينيه إطار سميك ورأسه منبعج .
فقال المفتش مزمجراً : هذه أوصاف لا تؤدي الى شيء فمن السهل إتخاذ اللحية والنظارات وسيلة للتنكر .

وعقاباً له على تشككه واستهانته بأقوالي آثرت ان أكتم عنه نبأ القصاصة التي سقطت من الطبيب وهو يهرع خارجاً من المحطة .

الفصل الثالث

بعد شيء من التردد . انطلقت الى بيت اللورد ناسبي صاحب صحيفة الديلي بادجيت .

كان من المشكوك فيه ان يقابل مثل هذا الرجل الخطير الشأن أي إنسان يطرق بابه ، ولكنني اتخذت الحيطة لذلك ، فأخذت معي بطاقة تحمل اسم « المركيز دي لومسلي » ، عثرت عليها في بيت مستر فليمنج ، وهو من مشاهير الصيادين الذين تردد الصحف اسمهم .

ودون وازع من ضمير او بادرة من الندم سطرت على البطاقة هذه الكلمات: « أرجوك ان تمنح مس بيدنجفيلد بضع دقائق من وقتك » .

وأفلحت الخدعة ، واستقبلني اللورد ناسبي على الفور معتقداً انني سكرتيرة الصياد الذائع الشهرة .

وسألني في اقتضاب : ما الذي يبغيه المركيز لومسلي ؟.. إنك طبعاً سكرتيرته ؟..

وفي برود وهدوء أجبت :

– أريد ان أبدأ بأن أقول بأنني لا أعرف المركيز دي لومسلي ، وهو أيضاً لا يعرف شيئاً عني ، والبطاقة التي بعثت بها اليك أخذتها سراً من البيت الذي أقيم فيه ، أما الكلمات المسطورة على البطاقة فأنا التي كتبتها بنفسي . وقد

فعلت هذا لأنني أردت ان أقابلك لأمر هام .

وحملق في المليونير برهة ، وخيل إلي لحظة انه يهم بأن يصرخ في وجهي ويطردني من بيته ، ولكنـه اخيراً ازدرد ريقـه مرتين ، وخـاطبني في هدوء قائلا :

– إنني معجب بثبات أعصابك أيتها الشابة .. والآن ها أنت ذي قـد قابلتني ، فان راق لي حديثك فسوف أمنحك دقيقتين من وقتي .

فأجبت : إنهما كافيتان جداً ، وسوف يثير حديثي اهتمامك .. انه يتعلق بلغز فيلا الطاحونة .

وفي إيجاز سردت عليه كل ما لدي من معلومات عن حادث قتيل النفق ، فلما فرغت من حديثي سألني فجأة :

– وما الذي تعرفينه عن شكل الرؤوس الآدمية فانك ذكرت لي ان رأس الطبيب المزعوم كان منبعجاً .

وذكرت له ان أبي كان من مشاهير رجال الحفريات وعلم الأجناس ، وان هذا كان مصدر خبرتي .

– إن ما لديك من معلومات ضئيل غير قاطع ، ولا يمكن ان نتخذه أساساً لخطة نسير على هداها .

– إنني أعلم هذا ..

– إذاً فما الذي تبغين مني ؟..

– أريد ان تعينني مخبرة بصحيفتك ليتسنى لي متابعة الأمر ، والتحري عن خفاياه .

– لا يسعني ان أفعل هذا فان لدي محرراً خاصاً يتولى مثل هذه الشؤون .

– ولكن ليس لديه معلوماتي .

– وهل تحتفظين بشيء آخر خلاف ما ذكرته لي ؟..

فلما أومأت إيجاباً تساءل : وما هذا الشيء يا ترى ؟..

– عندما استقل الطبيب المزعوم المصعد ليخرج الى الشـارع سقطت من جيبه قصاصة من الورق ، فمـا كان مني إلا ان التقطتها ، وكانت تفوح منها رائحة النفتالين ، أي نفس الرائحة التي كانت تنبعث من معطف القتيـل ، فأدركت على الفور ان الطبيب استولى عليها من جيب القتيل . وكان مسطوراً على الورقة بضعة أرقام وكلمات

– إذاً دعينا نرى هذه القصاصة .

ومد إلي يده فقلت باسمة :

– إنها « سري » الذي أحتفظ به لنفسي .

واستطرد اللورد : إسمعي . يمكنك أن تتابعي البحث ، فاذا اهتديت إلى شيء ذي أهمية فابعثي به إلي ، وعند ذاك أقرر ما اذا كنت تصلحين محررة في الديلي باديجيت أم لا .. يجب أولاً أن تقدمي إلي شيئاً مفيداً .

وبعد لحظات كنت في الطريق وقد استطارني الفرح .

الفصل الرابع

ما إن عدت إلى البيت حتى أخرجت القصاصـــة التي وقعت من الطبيب المزعوم ، وانكببت عليها أتأملها .

كانت هناك خمسة أرقام ، كما كانت هنـاك نقطة بعد الرقمين الأولين من ناحية اليسار .

وغمغمت أقول لنفسي :

– ١٧ ثم ٢٢ ثم ١ ، ولكن أي معنى لهذا ؟.. إنها أرقام بلا معنى .

ثم عدت أجمعها : ١ + ٧ = ٨ ثم ١ + ٢ + ٢ = ١٣ .

وأردفت أخاطب نفسي : والعدد ١٣ رقم منحوس ، فهل أراد الطبيب المزعوم ان يقدم إنذاراً ؟.. كان أولى به ان يكتب الانـذار واضحاً ، اي رقم ١٣ مجرداً .

ثم لاحظت أن هناك مسافة فراغ صغيرة بين الرقم ١ والرقم ٢ ، فهل لذلك الفراغ معنى ؟.. وبدأت أولي اهتمامي للكلمات المسطورة على القصاصة .

كانت الكلمة هي « قصر كيلموردن » ، وهذا دون شك اسم مكان مـا ، فلعله بيت إحدى الأسرات الأرستقراطية ، فما الذي ترمي اليه هذه العبارة ؟.. وريث مخطوف او غائب ؟. رجل يطالب باللقب ؟ . كنز مدفون ؟.. او ربما كان القصر مهدماً خرباً

وأخذت بنظرية الكنز المدفون ، فالأرقـام عادة-تدل على عدد الخطوات التي يمشيها الانسان أماماً أو يساراً أو يميناً لكي يصل إلى الكنز المخبوء. ولكن الأهم من هذا ان أعرف أين يقع قصر كيلموردن .

ومضيت الى المكتبة وعدت بعد ساعة أحمل مجموعة من كتب الدليل التي تتحدث عن تاريخ النبلاء والقصور الأثرية العتيقة ، وبدأت اتصفحها بحثاً عن كلمة كيلموردن ، ولكني لم أعثر فيها على أثر لهذه الكلمة .

وخطرت لي فكرة أخرى . ربما كان هذا المكان فندقاً أو مقهى فاذا كان الأمر كذلك فسوف أجد مشقة كبرى في الاهتداء الى المكان ، إذ يستحيل عليّ أن أرتاد لندن بما فيها من شوارع لا حصر لها سعياً وراء هذا المكان « قصر كيلموردن » ، ثم ما أدراني ان هذا المكان المجهول في لندن وليس في مدينة أخرى ؟..

واستولت علي الحيرة ، ولم أعد أدري كيف أتصرف .

وخطر لي انه لا بد لي أن أزور قبل كل شيء مكان الجريمة وذهبت الى مكتب السماسرة فعرضوا علي قائمة بالبيوت الخالية ، ولكنهم لم يذكروا من بينها « فيلا الطاحونة » .

– أليس لديك شيء آخر ؟

وأجاب الكاتب في شيء من التردد :

– كلا.. ولكن الواقع ان لدينا ذلك البيت المعروف باسم فيلا الطاحونة .

– أتعني البيت الذي عثروا فيه على امرأة مخنوقة ؟ . حسنـاً .. أعطني تصريحاً بزيارته ، فانه إن أعجبني فلا شك انهم سيخفضون إيجاره مراعاة لهذه الظروف ، وأكون أنا الرابحة .

وبعد نصف ساعة كنت أطرق باب مسز جيمس المشرفة على فيلا الطاحونة .

وسألتني : ألم تقرئي نبأ الفاجعة التي وقعت هنا ؟

– بل قرأتها ، ولكني لا أبالي .. إذا أعجبني فلن أتردد في ان أستأجره .

– إنك في الحق فتاة شجاعة .

واستطردت تتحدث عن القاتل :

– إنه رجل أنيق الثياب حلو المعشر لطيف الحديث . وكان يرتدي سترة رمادية حسنة التفصيل ، وله مشية عسكرية ، ولا شك انه كان جندياً .

– ولكن ما شأنه بهذه المرأة حتى يقتلها ؟

– من يدري ؟.. لعل هذه المرأة الأجنبية كانت صديقته ، ثم خانته وغدرت به .

– أكانت شقراء ام سوداء الشعر ؟..

– بل كانت ذات شعر أسود ، ولكن وجهها كان شديد البياض . ولها شفتان رفيعتان مضمومتان تدلان على القسوة .

– وهل كانت تبدو عصبية مهتاجة الأعصاب ؟

– بل على العكس كانت هادئة ، ولا تكاد الابتسامة تزايل شفتيها .

– وسير اوستاس بيدلر صاحب البيت ، أما زال في مدينة كان ؟

– لقد حضر بعد سماعه بالمأساة ، وفي صحبته سكرتيره مستر باجيت الذي ضاعف أجري حتى لا أستقيل .

– وما هي المدة التي أمضاها القاتل داخل البيت ؟

– إنه لم يلبث فيه أكثر من خمس دقائق ، ثم جاء إلي يحمل المفاتيح ، ولم أفطن إذ ذاك الى انه كان بادي الانفعال والانزعاج .

وكنت حريصة ان أوجه اليها أسئلتي بطريقةعارضة حتى لا تفطن الى انني أقوم باستجوابها ، ولكنني وجدتني مضطرة الى ان أوجه اليها هذا السؤال :

– ولكن ما شكل رأسه ؟.. أهو مفلطحة أم منبعجة ؟

– لا هذا ولا ذاك .. إنه رأس عادي الشكل كغيره من الناس .

ثم ناولتني المفاتيح ، وذهبت الى فيلا الطاحونة وأنا أفكر فيما سمعت منها وفيما رأيت بعيني

إن الأوصاف التي أدلت بها مسز جيمس لا تنطبق على قتيل النفق ، فهو إذاً لم يكن هو الذي دخل في أعقابها .

ولم يكن لدي شك في ان قتيل النفق اتفق مع المرأة الأجنبية على اللقاء في فيلا الطاحونة لسبب ما ، وحصل كل منهما عـــلى تصريح بزيارة البيت . ولكن حدث وهو ينتظر القطار ليلحق بها ان لمح الطبيب المزعوم ، فاستولى عليه الرعب لأن بينهما معرفة سابقة ، وسقط على القضبان ومات مصعوقاً بالتيار الكهربائي . وأسرع الطبيب المزعوم الى الفيلا ، وفاجأ المرأة وقتلها .

كانت هذه هي نظريتي ، فهل أستطيع ان أقيم الدليل على صحتها ..

ودسست المفتاح في ثقب الباب وفتحته ودخلت، وشعرت برجفة ورهبة ، فقد كان يخيم على البيت شبح الموت .

الفصل الخامس

تناولت مفكرتي من حقيبتي ، وخططت عليها بالقلم الرصاص رسماً كروكياً لغرفة الجريمة وأبوابها ومنافذها .

وفيما أنا أعيد القلم الى الحقيبة انفلت مني ونفذ من تحت باب دولاب صغير مشيد في الجدار تحت النافذة. وفتحت باب الدولاب فتدحرج القلم مرة أخرى، واستقر في أحد الأركان ، فمددت يدي إلى داخله اتحسس المكان بحثاً عن القلم ولمست شيئاً فأخرجته ، فاذا به لفافة فيلم اسطواني الشكل .

وساءلت نفسي : أيكون فيلماً قديماً مملوكاً لصاحب البيت سير اوستاس بيدلر نسيه في الدولاب ، أم يكون هو الشيء الذي جاءت المرأة الأجنبية إلى البيت ، ثم القاتل في أثرها ، لكي يبحثا عنه ؟ . .

وتساءلت : من الذي أودع الدولاب هذا الفيلم ؟ . . أهي المرأة أم الرجل ؟ . .

وذكرت ان محتويات حقيبة القتيلة كانت سليمة لم تمس ، فلو انها فتحت أثناء عراكها مع القاتل وانزلق منها الفيلم لكان محتملاً جداً ان تنزلق منها أيضاً بعض قطع النقد المعدنية ولما كان هذا لم يحدث فأرجح الظن إذاً ان الرجل هو الذي وضع الفيلم في الدولاب .

وشممت الفيلم ، فاذا رائحة النفتالين تفوح منه بشدة ، كما فاحت

من قبل ، من معطف القتيـــل ، ومن القصاصة التي سقطت من يد الطبيب المزعوم .

وعثرت على قطعة صغيرة من القماش عالقة بحافــة الدولاب ، فعرفت انها هي مصدر هذه الرائحة .. فهل يكون قتيـــل النفق هو الذي أودع في الدولاب الفيلم ؟.

ولكن لا .. ان الطبيب المزعوم هو الذي استولى على الفيلم من جيب قتيل النفق كما استولى على قصاصة الورق ، وقد انزلق منه الفيلم الى الدولاب اثنــاء عراكه مع المرأة .

وأعدت المفاتيح الى حارسة الفيلا ، ورجعت الى المدينة .

وفي البيت عدت أفحص قصاصة الورق من جديـــد ، واحاول أن أجد لارقامها وكلماتها تفسيراً جديداً .

فلنفرض أن هذه الأرقام ١٠٢٢٠١٧ تماثل تاريخ يوم معين، فما يكون هذا اليوم ؟. ألا يجوز أن يكون اليوم السابع عشر من الشهر الأول أي شهر يناير سنة ١٩٢٢ ولا معنى للرقم ٢٢ او اليوم الثاني والعشرون من شهر يناير ولا معنى للرقم ١٧

ولكن يجب أن أهتدي سريعاً الى هذا المكان المسمى « قصر كيلموردن » فاننا اليوم في الرابع عشر من يناير سنة ١٩٢٢ ، فلم يبق على اليوم الموعود يوم ١٧ إلا أياماً ثلاثة .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التـــالي ذهبت مبكرة الى محل كوداك ، وطلبت من العــامل أن يحمض لي الفلم ، فلما فحصه نظر إلي في استغراب وقال :

- لا شك انك أخطأت يا سيدتي فهذا هو الجزء غير الحساس من الفيلم .

وغادرت المحل وأنا أشعر بالخيبة والفشل .

وفيما أنا راجعــة الى داري لمحت في إحدى واجهات المكاتب السياحية

صورة سفينة تشغل الواجهة وقد كتب تحتها :

« الباخرة قصر كيلموردن » .

إذن فهذا هو « المكان المجهول » الذي حفيت قدماي بحثاً عنه ؟ .

ودفعت باب المكتب وسألت عن مواعيد الباخرة « قصر كيلمو
وأتاني الجواب ، بأنها ستغادر ميناء ساوثمبتون يوم ١٧ الجاري في
الى كيب تاون .

ولم أتردد لحظة واحدة .. خاطرت بكل ما أملك من مال لأحج
تذكرة على الباخرة كيلموردن .

الفصل السادس

مقتطفات من مذكرات
سير اوستاس بيدلر عضو البرلمان

سكرتيري الخاص جاي باجيت شاء أن يدفع بي الى خضم الأحداث العنيفة المثيرة ، فقد دخل علي ذات يوم وبين يديه برقيـة مفضوضة وعلى وجهه امارات العبوس .

وباجيت ان كنت لا تعلم سكرتير مجد نشيط لا يفكر في شيء سوى العمل .

وفي الاسبوع الماضي أخذ يتحدث عن فلورنسا وجمال جوها وروعـة تماثيلها وتحفها . فخطر لي أن أريح نفسي منه ولو اسبوعاً واحـداً ، فابتدرته بقولي :

غداً ستسافر يا صديقي العزيز الى فلورنسا وسأتكفل بجميع نفقاتك .

وكانت نفقاته ثمناً رخيصاً للراحة التي شعرت بها اثناء غيابه ، فقد فعلت خلال هذا الأسبوع كل ما يحلو لي ، غير واقع تحت سيطرة سكرتير يوجهني ويرشدني الى ما يجب أن أفعل او لا أفعل .

ولكني حين فوجئت به ذات صباح والبرقية في يده عرفت أن عهد الحرية قد انتهى . وقال لي :

– إنها من مارلو !. لقد قتلت امرأة في فيلا الطاحونة

فضربت كفاً بكف وقلت وقد ثار اهتمامي

– ولماذا في بيتي أنا بالذات دون الناس أجمعين !.. ولكن من الذي قتلها؟. ومن تكون هذه المرأة ؟..

– لم يرد في البرقية شيء عن هذا .. وأظن انه يجب ان نعود الى انجلترا على الفور ، إذ لا بد ان تستمع الشرطة الى أقوالك .

وكان على حق في هذا ، فلم يكن أمامي مفر من أن اقطع رحلتي وأتخلى عن إجازتي في الريفييرا .

وسافرت إلى انجلترا ، وهدأت من ثائرة مسز جيمس ، حتى لا تتخلى عن حراسة فيلا الطاحونة ، ولكي أرضيها وأغريها ، ضاعفت أجرها .

وفي النادي التقيت بأوجستوس ميلاري أحد كبار موظفي وزارة الخارجية ومال إلى أذني وقال همساً :

– لقد اكتشفنا اخيراً وثائق خطيرة ، يجب ان نسلمها فوراً إلى الجنرال سمطس ، ولكن يكاد يكون من المستحيل ان نفعل هذا خشية ان يتعقب الجواسيس مندوبنا .

ولوح أوجستوس ميلادي بيده وهو يقول :

– هل صحيح ما بلغني ، من انك تنوي ان تسافر قريباً ، إلى جنوب افريقيا ؟.. إنك مساهم ، فيما أعلم ، في بعض الشركات الكبيرة ، في روديسيا .

فأجبت : أصبت ، وفي نيتي أن أزور شركاتي بعد شهر تقريباً .

– ألا يمكنك ان تعجل بهذه الزيارة ؟.. ألا يمكنك ان تقوم بها هذا الأسبوع بالذات ؟ .

– أستطيع طبعاً ، ولكن ما الذي يدعوني إلى هذا ؟

— إنك بذلك تسدي لبلادك خدمة جليلة . يريـــد الوزير ان يعهد اليك بالوثائق التي يبغي تسليمها للجنرال سمطس .. إن الجواسيس لن يرتابوا في أمرك لأنك رجل أعمال لا شأن لك بالسياسة

فتريثت برهة أتدبر الأمر ، ثم قلت :

— لا بأس ... لقد قبلت .

— شكراً لك يا بيدلر .. إني لن أنسى لك هذه المنة . غـداً سأبعث اليك باللفافة مع رسول خاص ، وعليك ان تسلمها الى الجنرال سمطس يـداً بيد ، والباخرة « قصر كيلموردن » ستبرح الميناء يوم السبت القادم فاحجز لك مقصورة فيها .

وغادرنا النـادي معاً ، ووقفنا على الإفريز قبـل ان نفترق ، وهـو يكرر عبارات الشكر ، ويذكرني بأن أحجز لي مكاناً على الباخرة « قصر كيلموردن » .

وفي مساء اليوم التالي جاء الى بيتي رجل يطلب مقابلتي ، وذكر لخادمي أنه موفد إلي من مستر ميلاري بوزارة الخارجية

وقال لي الزائر : لقد أوفدني مستر ميلاري لأصحبك الى جنوب افريقيا بصفتي سكرتيراً لك .

— لدي سكرتيري الخاص

— ولكنه متغيب الآن

— هذا لأنه مصاب بالصفراء

— وهل أنت على يقين ، حقـــاً ، من أنه مريض بالصفراء ؟... إن مستر ميوري ، يتوقع أن يهـاجم الجواسيس سكرتيرك ليزيحوه من الطريق ، ولذلك يريد منك ان تصطحبني لأكون بديلاً له ولأتولى في الوقت ذاته السهر عليك .

فقلت في استسلام : فليكن إذن .

- ولكن أرجوك أن تكتم عن كل إنسان إنني سأرافقـــك فليكن الأمر سراً بيني وبينك ، كما أرجوك ان تعد جواز السفر الخاص بي ، وأن تذكر فيه انني سكرتيرك .

وحين هم بالانصراف سألته :

- وبهذه المناسبة ما هو اسمك ؟..

فأجـاب : أظن ان « هاري رايبون » يمكن ان يكون اسمـاً مناسباً لائقاً .

الفصل السابع

(آن بيدنجفيلد تتابع سرد قصتها)

ليس من الغريب ان يصاب المرء بدوار البحر ، فأسرعت إلى مقصورتي ولبثت فيها ثلاثة أيام طريحة الفراش ، وقد نسيت المهمة التي سافرت من أجلها .

وفي اليوم الرابع لملازمتي الفراش في مقصورتي ، جاءت إلي الوصيفة تحثني على ان أصعد إلى السطح لأستمتع بالهواء الطلق ، فاستجبت الى نصحها ، وتدثرت بأغطية ثقيلة ، وتهالكت فوق أحد مقاعد البحر ، وأنا واهنة ضعيفة بادية الإعياء .

وأقبل علي أحد الركاب يحييني وقال :

– لو انك تطلعت إلى وجهك في المرآة لرثيت لنفسك ، فانك مصفرة الوجه على غاية من الضعف .

هذا صحيح فاني أشعر اني متعبة جداً .

فاستطرد : غداً ترسو الباخرة في الخليج ، وسوف أصحبك في القارب إلى الشاطىء .

ولبث معي بضع دقائق يحاول ان يسري عني بالحديث ، ثم مضى منصرفاً

ورحمني من ثرثرته .

وجعلت أتطلع الى المسافرين . واسترعت بصري سيدة في نحو الثلاثين من عمرها ، وفي تصفيف شعرها لمسة من ذوق باريس ، وكان في خطوها الثابت ما يوحي بأنها تعتقد انها ربة السفينة ومالكتها .

وتمنيت لو انني تعرفت اليها لأبادلها الحديث .

وعند ظهر اليوم التالي القت الباخرة مراسيها في خليج ماديرا ، وكنت لا أزال أحس شيئاً من الاعياء ، فاكتفيت بالتطلع إلى الشاطىء .

ونزلت الحسناء المتعالية إلى الشاطىء، وحين رجعت كان في صحبتها رجل طويل القامة أسود الشعر ملوح البشرة ذو خطو عسكري ، وكان قد سبق لي أن لحته في الصباح الباكر يتمشى على سطح المركب .

وحين حملت إلي وصيفة الباخرة بطانية إضافية عندما اشتدت برودة الجو سألتها عمن تكون هذه الحسناء المتعالية الانيقة .

وأجابتني : إنها إحدى سيدات المجتمع الشهيرات .. ليدي كلارنس بلير ، ولا شك أنك رأيت صورها كثيراً في الصحف وقرأت عنها .

وكانت ليدي بلير معروفة بأنها من أكثر النساء أناقة ، وإنها إحدي نجمات المجتمع ، ولاحظت ان جميع الرجال في السفينة يحومون حولها، ويحاولون ان يتقربوا اليها ، ولكنها كانت تصدهم في لطف ورقة .

وفوجئت صباح اليوم التالي بليدي بلير تتوقف عند مقعدي ، وتسألني عن صحتي راجية أن أكون قد أصبحت أحسن حالاً ، فشكرتها على تلطفها ومجاملتها .

وقالت مسز بلير وهي تجلس على كرسي بجانبي :

ـ إن الهواء في أغلب مقصورات السفن فاسد ، فهل مقصورتك داخلية أم تشرف على الماء ؟..

فلما أجبتها بأنها مقصورة داخلية قالت :

ـ يا لك من مسكينة !. ولم لا تبدلين بها غيرها ؟.. لقد غادر السفينة كثير من الركاب في ماديرا ، فخلت مقصورات كثيرة . تحدثي الى المراقب ونحن على مائدة الغداء فينقلك الى مقصورة أخرى .. إنه شاب لطيف وقد نقلني إلى مقصورة جميلة عندما أفضيت اليه برغبتي .

ثم دست يدها تحت ذراعي وهي تقول :
ـ هيا تحاملي على نفسك واستندي إلى ذراعي لنمشي قليلاً ..
ولحق بنا زميلها الكولونيل ريس بعد لحظات قائلاً :
ـ إن قمة جبل تينيريف تتراءى من الناحية الأخرى من السفينة ، فيحسن بنا ان نلتقط لها صورة على سبيل التذكار .

وكانت قمة الجبل مغطاة بالثلوج فأسرعت ليدي بلير الى مقصورتها لتأتي بآلة التصوير .
وعادت بالكاميرا خلال لحظات ، وهمت بأن تلتقط بعض الصور للجبل ، ولكنها ما لبثت ان غمغمت :
ـ واأسفاه !.. لقد فرغ الفيلم ..

فقال الكولونيل يمازحها : هكذا الطفل دائماً ، لا يعرف كيف يستفيد من اللعبة التي بين يديه .
فضحكت ليدي بلير وقالت : ولكن الطفل ما زال يحتفظ بفيلم آخر احتياطي .
وأخرجت فيلماً جديداً من جيب سترتها ، ولكن هزة فجائيـــة من المركب أدت الى اختلال توازنها فتشبثت بسياج السفينة ، وأفلتت أصابعها الفيلم فطار عبر السياج .

وتساءلت ليدي بلير : ترى هـــل سقط في البحر ؟.. أم استقر في الطابق السفلي ؟..
وأجابها الكولونيل ريس :

– أغلب الظن انه وقع في الماء .
وفي هذه اللحظة دوى نفير الطعام يدعو الركاب الى تنـــاول الفطور ، فهبطوا جميعاً الى قاعة المائدة

وطلبت من المراقب ان ينقلني إلى مقصـــورة أخرى ، تشرف على البحر بدلاً من تلك المقصورة الداخلية الخانقة التي أشغلها ، فوعد بتلبيـة رغبتي
وأثار انتباهي ، بين الجالسين الى الموائـد ، رجل لم ألمحه من قبـل ، كان طويل القامة ، أسمر الوجه ، له سحنة ترتسم عليها معالم القسوة والشر والخشونة
وكان مراقب السفينة يشاركني مائدتي فاستفسرته عن الرجل فقال :
انه سكرتير سير اوستاس بيدلر ، وكان قد لزم مقصورته منذ بداية الرحلة مصاباً بـدوار البحر ، وهو يدعى باجيـت ولسير اوستـاس سكرتير ثان ، ولكنه لم يظهر حتى هـــذه اللحظة ، إذ أنهكه الدوار فلازم غرفته
إذن فسير أوستاس بيدلر من بين ركاب هذه البـــاخرة .. انها صدفة عجيبة ، ولكنها صدفة رائعـة سوف تتيح لي مقابلة صاحب البيت الذي خنقت فيه الحسناء الأجنبية .

واستطرد المراقب وسير اوستاس هو ذاك البدين الجالس إلى المائدة بجانب الربان .
وتأملت وجه السكرتير باجيت ، وازددت مقتاً له .. وكان له وجه شاحب ، ورأس منبعج ، ومعالم سحنته تثير التقزز لما فيها من سمات الشر .

وما أن غادر مائدته حتى كنت في أعقابه ، وسمعته يقول لسير اوستاس:
– سأطلب منهم أن يغيروا المقصورة في الحال بأخرى أكثر اتساعاً ، أو ان يعطونا مقصورة اضافية ، فان العمل مستحيل في مقصورتنا والحقائب

مكدسة فيها بهذا الشكل .

ثم تابعت طريقي فلم أتبين ما دار بينهما من حديث بعد ذلك .

ووجدت الوصيف المكلف بمقصورتي منهمكاً في نقل حاجياتي ، فابتدرني بقوله :

– ان مقصورتك الجديدة التي ستنتقلين اليها رائعة .. المقصورة رقم ١٣ .

– رقم ١٣ !. يا إلهي !. انني اتشائم من هذا الرقم .. ألا توجد مقصورة اخرى خالية ؟..

ففكر الوصيف هنيهة ثم قال :

– نعم .. المقصورة رقم ١٧ .. لقد خلت هذا الصباح ولكنها خصصت لشخص آخر ، غير أن متاعه لم ينقل اليها بعد ، وما أحسب انه سيرفض أن ينزل لك عنها

وأسرع الوصيف إلى المراقب يستأذنه في نقل متاعي إلى رقم ١٧ ، وما لبث أن عاد متهللاً فرحاً وقد أحرز الموافقة ، وقادني من فوري إلى مقصورتي الجديدة .

وفي هذه اللحظة ظهر ببابي ذو السحنة المتوحشة ، وأعني به باجيت سكرتير اوستاس ، وقال :

– ولكن معذرة يا آنسة .. ان هذه المقصورة محجوزة لسير اوستاس بيدلر ..

فأجابه الوصيف . لقد حجزت لكم رقم ١٣ بدلاً منها ، وهي أوسع وأرحب .

– ولكن رقم ١٧ هي المحجوزة باسمنا ، وأنا لا أريد سواها .

وارتفع صوت جديد يقول :

– عفواً أيها السادة .. ان رقم ١٧ هي مقصورتي .

وكان القادم الجديد هو قس شاظرني الطعام ذات مرة وصدع رأسي

بحديثه الممل المتكرر عن ضرورة نشر المسيحية بين الافريقيين السود المساكين .

ورد عليه باجيت قائلاً :

– ان رقم ١٧ محجوزة لسير اوستاس بيدلر .

وقال الوصيف يخاطب القس :

– انك يا سيدي ستنزل في رقم ٢٨ .

– اني مصر على رقم ١٧ فقد وعدت بأن تحجزها لي .

وهكذا كنا ثلاثة نتنازع على المقصورة رقم ١٧ : أنا ، وباجيت سكرتير سير اوستاس بيدلر ، ثم القس شيستر .

وأخذنا نتجادل واشتد بيننا النقاش وعلت أصواتنا ، فما كان مني إلا ان انسحبت فجأة ، وأسرعت إلى المراقب ، وبذلك الصوت النسائي الرقيق الذي ينبض إغراء قلت له :

– إنك وعدتني برقم ١٧ ، ولن تخذلني طبعاً .

ولم يخذلني الرجل طبعاً ، وكيف يفعل وقد كانت نظراتي اليه تفيض أنوثة وإغراء .

وفي المساء ذهبت إلى مقصورتي الجديدة رقم ١٧ فوجدت الوصيف ينتظرني ببابها ووجهه متجهم ، وابتدرني :

– إن رائحة كريهة جداً تفوح من مقصورتك ، ولا أدري كيف حدث هذا يا سيدتي .

وفعلاً كانت الرائحة النتنة لا تحتمل ولا تطاق ، وبحكم عملي كممرضة في اثناء الحرب أدركت على الفور ان هذه الرائحة ، رائحة مادة « الحلتيت » – فمن يكون ذلك الذي دس الحلتيت في غرفتي ، حتى يحملني على التخلي عنها ؟ .. لا شك انه واحد من الاثنين اللذين نازعاني عليها : باجيت أو القس شيستر ؟.

فما هو السر في هذا التشبث بالمقصورة رقم ١٧ ؟.

وفجأة برز الرقم ١٧ في ذهني وأثار الكثير من الاحتمالات .

المقصورة رقمها ١٧ — والباخرة أبحرت يوم ١٧ ، ثم القصاصة التي وقعت من الطبيب المزعوم ومسطور عليها نفس الرقم أي ١٧ ٠ ٢٢ ١٠ مع اسم الباخرة « قصر كليموردن » ، وغداً هو يوم ٢٢ من الشهر الأول أي يناير .

فهل المقصود برقم ١٧ هنا هو المقصورة رقم ١٧ ؟. لا بد لهذه المقصورة سراً خفياً ، فما عسى أن يكون هذا السر ؟

الفصل الثامن

في تلك الليلة أويت إلى فراشي مبكرة مدعية انني مصابة بصداع شديد ، ولكني لم أسلم نفسي إلى النوم ، بل رقدت في سريري يقظة منتبهة أترقب ما سوف يحدث ، فغدا هو يوم ٢٢ المسطور على قصاصة الورق .

وأرسلت الساعة دقاتها . انها الواحدة بعد منتصف الليل .. وخفق قلبي بشدة .

ولكن مهلا .. ما هذا ؟.. وقع خطوات سريعة خفيفة تركض في الممر أمام مقصورتي .

ثم فجأة دفع باب مقصورتي في عنف ، واقتحم المكان رجل كاد يسقط على وجهه ، ورد الباب وراءه وهتف بي :

— انقذيني .. أتوسل اليك . انهم في أعقابي .

قفزت من الفراش ، وسحبت حقيبتي الضخمة من تحت الحوض ، وأشرت اليه بأن يتوارى تحته ، ودفعت الحقيبة إلى الوراء ، ورفعت غطاءها حتى تحجب جسمه عن النظر ، ثم نفشت شعري ، وملت على الحقيبة وتناولت منها قطعة من الصابون . فلو أن أحداً فتح الباب الآن ورآني منفوشة الشعر وصابونة في يدي لأيقن انني سأغسل شعري ، ولاستبعد وهذه حالتي انني أخفي رجلا في غرفتي .

وقرع الباب وفتح ، دون أن ينتظر الطارق أذناً ، ورآني أمام الحوض أغسل شعري والصابونة في يدي .

وحين أدرت رأسي رأيت إحدى وصيفات الباخرة — وصيفة لم أرها من قبل .

قالت في احترام : معذرة يا سيدتي .. لقد خيل إلي انك كنت تنادين .

فأجبت : كلا .. لم أكن انادي .. لقد شعرت بصداع حاد ، فرأيت أن أغسل رأسي .

فقالت : لقد أفرط أحد الركاب في الشراب وخشينا أن يقتحم مقصورات السيدات فيزعجهن .

— هذا أمر مزعج .

— إذا اقتحم غرفتك فبادري بقرع الجرس .

وأغلقت الباب وراءها ، وسحبت الحقيبة ، وأهبت بالرجل أن يخرج ، ولكنه لم يلب النداء وناديته مرة أخرى فلم يجب ، وهززته فلم يتحرك .

لا شك انه أفرط فعلاً في الشراب ، وغرق في النوم . وفجأة أخذت عيني بقعة حمراء على أرض المكان .

واستجمعت كل قوتي وجررت الرجل إلى وسط المقصورة ، وعرفت انه لم يكن ميتاً ، وانما كان مغمى عليه ، وتبينت على الفور السبب في اغمائه .

كان هناك جرح صغير غائر تحت كتفه الأيسر .

نزعت سترته ، ومضيت أغسل الجرح بالماء البارد ، فتحرك وانتبه من اغمائه ، ثم تحامل على نفسه ونهض واقفاً ، فقد كان قوياً في عنفوان شبابه .

قال لي : شكراً لك .. اني لا أريد شيئاً آخر .

— ولكن يجب أن أضمد جرحك .

— بل يجب أن أنصرف على الفور .

ومشى إلى الباب ، ولكنه ما لبث أن ترنح وكاد يسقط أرضاً ، فتلقيته

بين ذراعي وأرقدته على الأريكة ، ومضيت أضمد الجرح بيد مدربة حاذقة ، وحين فرغت من عملي كان قد استعاد حيويته ونشاطه .

وقلت له : والآن حدثني بما جرى .

– يؤسفني انني لن أستطيع أن اشبع فضولك .

ونهض واقفاً واتجه إلى الباب ، واستقرت يده على المقبض .

وقلت له أتحداه : كان يجب على الأقل ان تشكرني لأنني انقذت حياتك .

فتأملني برهة ثم قال في لهجة شرسة :

– انني لن أشكرك ، ولكني لن أنكر فضلك علي ، وفي يوم من الأيام سأوفيك دينك .

ثم فتح البـــاب وأولاني ظهره ، وما لبث أن غاب عن عيني وطوته ظلمات المشى .

الفصل التاسع

حين صعدت إلى سطح الباخرة في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي أطلت علي مسز بلير تحييني بقولها :

ـ كيف حالك اليوم ؟

وأردفت ليدي بلير : يا لك من فتاة مسكينة لطيفة !.. والآن هيا حدثيني عن نفسك أيتها النورية الحسناء ... ما الذي يدعوك إلى زيارة جنوب افريقيا ؟..

وحدثتها عن أبي ، وكيف كان من كبار العلماء ..

ـ إذاً فأنت إبنة شارل بيدنجفيلد الذائع الصيت ؟..

ثم قالت : ولكن ما بالك متعبة اليوم ؟.. ألم تنامي جيداً ؟..

فأجبت بالإيجاب

فأردفت : أنا أيضاً لم أنم جيداً ، فقد أيقظني من نومي في منتصف الليل ، وصيف أحمق ليعيد إلي الفيلم الذي طار من يدي بالأمس عندما هممت بأن التقط صورة لقمة الجبل . تصوري ان هذا الوصيف الأحمق أنفذ يده من فجوة أنبوبة التكييف وأسقط الفيلم فوقع فوق وجهي فصرخت فزعاً وأنا أحسبه فأراً أراد ان ينقض علي .

ورأيت الكولونيل ريس مقبلاً علينا فقلت :

ـ ها هوذا رجلك قد جاء

ـ إنه ليس رجلي ، بل هو مجرد صديق .

فنهضت واقفة وأنا أقول :

ـ لحظة واحدة ريثما الف شعري بوشاح .

ومضيت إلى مقصورتي لأعود بالوشاح . على انني مـا كدت أفتح الدرج حتى أيقنت ان يداً عبثت بحاجياتي ، وما القيت نظرة على الأدراج الأخرى حتى أدركت ان اليد الخفية المجهولة امتدت اليها أيضاً .

ترى من الذي فتش مقصورتي ؟.. وعم كانوا يبحثون ؟

ثم من يكون هذا الرجل الذي اقتحم مقصورتي في جوف الليل مصابـاً بجرح في كتفه ؟.. إنني لم ألتق به أبداً منذ ركبت الباخرة ، فأين كان مختبئاً ؟.. وهل هو أحد موظفي السفينـة أم واحد من الركاب ؟.. ولماذا هاجموه وطعنوه ؟ .

وجلست على حافة الفراش ، ومضيت أحصي في ذهني من يمكن ان يكونوا محل شك واشتباه .

أولاً : ـ سير اوستاس بيدلر ، فهو صاحب فيللا الطاحونة التي وقعت فيها جريمة القتل .

ثانياً : ـ مستر باجيت (سكرتير سير اوستاس) ذو السحنة الشريرة ، فـان إصراره العجيب على النزول في المقصـورة رقم ١٧ ، أمر يـدعو إلى الاشتباه .

ثالثاً : ـ القس المحترم ادوارد شيستر ، فهو أيضاً كان مصراً على النزول في الغرفة رقم ١٧ .

ورأيت ان أبادر بالتحري عن هؤلاء الثلاثة والتحـدث اليهم ، علني أكتشف خبية طواياهم .

ورأيت القس المحترم مستنداً إلى السياج يطل على البحر ويتناول قدحاً

من الشاي .

وأقبلت عليه أقول : أرجو أن تغفر لي تشبثي بالمقصورة رقم ١٧ .

فأجاب في فتور إن المسيحي الصادق الايمان لا ينقم على أحد ولا يمكن أن يحمل له ضغناً . وكل ما هنالك ان المراقب وعدني بهذه المقصورة .

— إن مراقبي السفن قوم غارقون في العمل، وكثيراً ما تختلط عليهم الأمور فينسون وعودهم .

ولما لم يجب أردفت : أتلك اول رحلة لك إلى جنوب افريقيا ؟ .

— نعم ، وإن كنت قد أمضيت العامين الماضيين في افريقيا الشرقية وسط القبائل المتوحشة .

وفجأة راودتني بادرة من الشك : إذا كان القس المحترم قد قضى سنتين في افريقيا الشرقية فكيف لم تلوح الشمس بشرته؟ ذاك شيء يثير الشك . أتراه قساً حقيقياً ، أم أنه مدع يمثل دور القس ؟ .

وفيما انا أتدبر هذه الخواطر ، رأيت سير اوستــاس بيدلر قادماً ، وحين حــاذى القس انحــنى على الأرض والتقــط قصاصة ، ناولهــا إلى الأب شيستر قائلاً :

— يبدو ان هذه الورقة سقطت منك

ثم تابع طريقه دون ان يفطن الى ما عرا القس من اضطراب ، وإلى انــه كور الورقة في انفعال ، فأي سر كانت تطويه هذه الرقعة من الورق ؟.. لا شك انه اعتقد انسير اوستاس استطاع وهو يقدمها اليه ان يقرأ ما هو مسطور عليها ولذلك شحب وجهه واضطرب .

والتفت إلي القس يقول لكي ينفي شكوكي :

— إنها مسودة عظة كنت أكتبها .

وكان واضحاً انه يكذب ، وان كلماته لم تخدعني .

ثم استأذن مني وانسحب مسرعاً .

وبعد أن فرغت من تناول الغداء مضيت إلى قاعة الاستقبال ، فوجدت ليدي بلير تتناول قهوتها ، وفي رفقتها الكولونيل ريس وسير اوستاس بيدلر وسكرتيره باجيت ، فانضممت اليهم ، وكانوا عندئذ يتحدثون عن ايطاليا وما بها من تماثيل وتحف رائعة .

وقال اوستاس بيدلر موجهاً الحديث إلى سكرتيره :

– وما رأيك أنت في الايطاليين يا باجيت ، فانك عائد لتوك من فلورنسا ؟ .

كان سؤالاً عادياً ، ولكن ما ان سمعه باجيت حتى بدا عليه الارتباك وتضرج وجهه احمراراً ، وغمغم ببعض كلمات غامضة ، ثم نهض على الفور واستأذن منسحباً .

وقال سير اوستاس ضاحكاً :

– ما أعجب هذا !.. كلما أشرت الى فلورنسا في حديثي مع سكرتيري إرتبك واضطرب ، حتى ليخيل إلي أنه لا بد ان يكون قد اقترف جريمة قتل أثناء عطلته التي أمضاها هناك

فقالت ليدي بلير : ارجو ان لا يغضبك يا سير اوستاس ان أقول ان له سحنة شريرة كرجال العصابات .

وتساءل الكولونيل ريس :

– هل أمضى في خدمتك وقتاً طويلاً ؟ .

– ثماني سنوات وربما أكثر ومع ذلك فان لك أن تطمئني يا ليدي بلير ، فالقاتل يحاول دائماً ان يكون لطيفاً.. أتذكرين المجرم الخطير كريبين ؟.. انه كما يقولون كان من الطف الناس وأرقهم حاشية .

وسمعنا قرقعة خلفنا ، وحين التفتنا وجدنا ان فنجان القهوة قد وقع من يده عند سماعه اسم المجرم كريبين يتردد في حديثنا ؟.. أيكون هو نفسه كريبين متنكراً في زي القسيس ؟

وقالت ليدي بلير :

– أعتقد ان رجال الشرطة قبضوا عليه وهو مسافر على إحدى البواخر ، ولكنه استطاع ان يهرب منهم

وتفرق شملنا حين فرغنا من تناول القهوة ، ولحق بي الكولونيل ريس إلى سطح الباخرة وسألني :

– لم تتهربين مني يا مس بيدنجفيلد لقد بحثت عنك ليلة الأمس دون جدوى لأراقصك .

– لقد أويت إلى فراشي مبكرة إذ كنت متعبة .

– والليلة ؟ . أتنوين ان تنامي مبكرة ؟

– بل يسعدني ان أراقصك .

ولست أنكر ، إني كنت أشعر بشيء من الميل ، نحو الكولونيل ريس .

وفي ذلك المساء راقصته عدة مرات ، وفي نهاية السهرة استرخينا على كراسي البحر ، وأخذنا نتسامر

وقال لي في معرض الحديث :

– أتعرفين يا مس بيدنجفيلد اني أعتقد انني سبق ان التقيت بأبيك . لقد كان عالماً عظيماً . .

ثم أردف :

– لقد درست أنا نفسي فيما مضى علم الأجناس . فعندما كنت في فرقة دوروني . .

وأفاض في الحديث عن معلوماته الفنية ، وكان دون شك واسع الاطلاع ، بيد انه ارتكب غلطة جسيمة ، فقد ذكر ان عصر موستريا كان تالياً لعصر اورنياسيا ، بينما العكس هو الصحيح ، وهي غلطة لا تصدر ممن يعرف بديهيات علم الأجناس .

وعندما أويت إلى فراشي دارت بخلدي فكرة طارئة . لمـــاذا أطال وأسهب في الحديث عن علم الأجناس ، وهو موضوع لا يلائم جلستنـــا الشاعرية ؟..

أتراه كان يريد ان يختبرني ؟.. أتراه كان يعتقد انني امرأة مدعيـــة وكاذبة أحمل اسماً غير اسمي ، وانني لست آن بيدنجفيلد إبنـــة العالم الشهير ، فطرق هذا الموضوع ليتأكد من حقيقة أمري ؟..

ولكن لمـــاذا ؟ .. مـــا الذي يعنيـــه من أمري ؟ .. ولمـــاذا يرتاب في شأني ؟ ..

الفصل العاشر

(نقلا عن مذكرات سير اوستاس بيدلر)

لقد قمت بالكثير من الرحلات البحرية، حتى الفت اهتزاز السفن وارتجاجها، أما سكرتيري باجيت فما كاد يحط قدمه في المركب حتى أصيب بدوار البحر، فلزم مقصورته . أما سكرتيري الثاني فلم أره مطلقاً إذ يبدو انـه هو الآخر أصيب بالدوار فلم يبرح مقصورته قط ، فأراحني من رؤية سحنتـــه ، وهو الذي فرض علي فرضاً ، وهكذا كنت أقضي وقتي مع ليدي بلير وصاحبها الكولونيل ريس .

وبعد ان غادرنا ماديرا زايل جاي باجيت مقصورته ، وأقبل يلح علي ان نشرع في العمل وان أواصل إملاء مذكراتي فقلت له :

ـ وما الذي يدعوني الى ان ارهق نفسي بالعمل الآن فلا أستمتع بهذه الرحلة البحرية الطريفة .

وجاءني في اليوم التالي يقول ان المقصورة مختنقة بالحقائب ، واننا في حاجة إلى مقصورة أوسع

أخذ يلح ويلحف في الرجاء ، فلم أر مناصاً من ان أقره على رأيه لأتخلص منه ، فقال ان المقصورة رقم ١٧ خالية فكلفته بأن يطلب من الربان ان

يحجزها لنا .

وفي الصباح التالي أقبل علي متجهم الوجه وروى لي قصة خرجت منها بأنه لم يفز بالمقصورة رقم ١٧ لأن فتاة تدعى مس بيدنجفيلد وقساً يدعى الأب شيستر زاحماه عليها في تشبث وعناد ، وكان ان ظفرت بها الفتاة .

فقلت : لا أهمية للأمر ما دمت قد حصلت على مقصورة أخرى .

— ولكنك طلبت مني ان أحجز باسمك المقصورة رقم ١٧ .

— إن الأمر يستوي عندي ، فكل المقصورات سواء .

— ولكن هناك شيئاً غامضاً يتعلق بالمقصورة رقم ١٧ . لقد ظفرت بها مس بيدنجفيلد ، ولكني رأيت الأب شيستر خارجاً منها هذا الصباح تبدو عليه علامات الاضطراب والحذر كأنما دخل اليها خلسة .

فقلت له غاضباً : لا تنس ان شيستر رجل دين ، وان مس بيدنجفيلد من أشرف المسافرات وأطهرهن .

ولكي أغيظ باجيت استطردت أقول :

عليك ان تدعو مس بيدنجفيلد باسمي الى تناول العشاء غداً على مائدتي ، فاني أحب ان أراقصها في الحفلة التنكرية التي ستقام في المساء ، أما أنا فسأتولى بنفسي توجيه الدعوة الى ليدي بلير صاحبة أجمل ساقين في هذه الباخرة .

فقال باجيت معترضاً : ولكني أعرف ان الكولونيل ريس سبقك فدعاها الى مائدته .

— ما الذي تعرفه عن الكولونيل ريس ؟ . .

— إنهم يقولون انه يعمل في المخابرات ، كما أنه من أشهر الصيادين في العالم .

فتنهدت في استخفاف وقلت :

— ما أعجب تصرفات حكومتنا يا باجيت ! . . يعهدون إلى رجل عادي بوثائق سرية خطيرة في حين ان لهم على نفس المركب أحد رجال مخابراتهم .

فمال الى أذني وقال هامساً :

ـ هناك أشياء غريبة شاذة تجري ياسير اوستاس هأنذا قبيل سفري مباشرة أصاب بنزلة كبدية ، ولكن الحقيقة ان الأمر لم يكن كذلك .

ـ ماذا تعني يا باجيت ؟

ـ أعني ان أحدهم دس لي سماً لأتخلف عن الرحلة .

ـ هل تحدثت في هذا الى زميلك رايبون السكرتير الثاني ؟

ـ نعم ، وهو يقرني على رأيي .

ـ وبهذه المناسبة أين هو ؟.. فاني لم أره أبداً .

ـ إنه يلازم مقصورته مدعياً انه مريض ، ولكني واثق ان هـذا الادعاء خدعة منه حتى يتسنى له ان يسهر على حمايتك ، فقد يحاول بعضهم أن يغتالك .

فتطلعت اليه في دهشة فقال في اقتضاب :

ـ نعم .. انك مستهدف لخطر الاغتيال يا سير اوستاس .

ثم اولاني ظهره وانصرف دون ان يضيف كلمة أخرى .

الفصل الحادي عشر

كانت سهرة رائعة ممتعة .

لم أجد في مخازن الباخرة حلة تنكرية تلائم جسمي السمين إلا جلد الدب ، فارتديته على كره مني ، ولكني ظفرت بالجائزة الأولى عن أجمـــل الثياب التنكرية للرجال . وانتقت مس بيدنجفيلد ثوب غجرية مطرزاً بالشرائط ذات الألوان الزاهية ، أما مسز بلير والكولونيل ريس فظلا في ثيابهما العادية ورفضا أن يتنكرا .

ورقصت أكثر من مرة مع مس بيدنجفيلد وليدي بلير ، ثم جلسنا نتناول العشاء ، وأغرقت المائدة بالشمبانيا المعتقة ، وأفرط الكولونيـــل ريس في الشراب ، وانطلق لسانه ، وأخذ يداعبني قائلا :

– لم لا تدون مذكراتك يا سير اوستاس ؟ . لو انك فعلت لعرف الناس ما يجهلون من مغامراتك .

فقلت : لو انني كتبت مذكراتي لاقتصرت فيها على ان أدون فضائح غيري .

وبعينين ساذجتين قالت مس بيدنجفيلد. لا شك ان حياتك مليئة بالمغامرات الطريفة يا كولونيل ريس ؟ . .

وانطلق لسانه يروي لها مغامراته في صيد الأسود في روديسيا ، وكان أسلوبه في سرد قصصه شائقاً فتن الحاضرين جميعاً ، وخاصة النساء .

وتساءلت مسز بلير : ولكن الينس في روديسيا سوى الأسود ؟.
فأسرعت أجيب : بل فيها الماس .. شركة دي بيرس الشهيرة

وهتفت مسز بلير ومس بيدنجفيلد في صوت واحد :
ــ الماس !.. آه .. ما أجمل الماس ! .
ثم بدأت الأسئلة تدور حول الماس .. ولكن الأسئلة لم تكن توجه إلي ، وإنما كانت تنهال على الكولونيل ريس إذ أصبح دوني بهجة السهرة ومحورها .

إنك طبعاً زرت كمبرلي يا كولونيل ؟.. إنك طبعاً رأيت مناجم الماس؟ . هل حقيقة انهم يحبسون العمال الأفريقيين ولا يسمحون لهم بزيارة اسرهم خشية أن يخبئوا شيئاً من الماس عند أهليهم ؟..
وأجاب الكولونيل ريس على هذه الأسئلة في استفاضة تدل على إحاطته بالموضوع ، فقد كنت أنا أيضاً خبيراً بمثل هذه المسائل إذ سبق لي ان زرت كمبرلي ورأيت مناجم الماس أكثر من مرة ، وعرفت الاحتياطات التي يتخذها دي بيرس ليتوقى السرقات .

وقالت ليدي بلير إذاً فمن المستحيل ان تتاح لأحد الفرصة لسرقة شيء من الماس ؟.
فأجابها : لا شيء مستحيل في الدنيـــا يا ليدي بلير ، فالسرقات تقع من حــين لآخر ، كحادث الخفير الذي أحــدث في ساقه جرحاً خبأ فيــه فصاً من الماس .
ــ والسرقات الكبيرة ؟. ألا تقع أبداً ؟.

ــ لقد وقعت سرقة كبيرة في السنوات الأخيرة ... ولا شك انك تــذكر هذا الحــادث يا سير اوستاس ، فانك كنت موجوداً في جنوب افريقيــا ، عند وقوعه
وأومأت برأسي إيجاباً ، فقالت ليدي بلير في شغف :
ــ أرجوك ان تروي لنا القصة . أرجوك ..

وابتسم ريس وشرع يحكي تفاصيل هذه السرقة :

-- حدث قبيل الحرب ان تناثرت إشاعات قوية عن وجود الماس في أدغال غينيا البريطانية ، وان المنقبين لم يكتشفوا موقع المنجم بعد. وجاء إلى كمبرلي شابان مغامران هما جون ايرديسلي وصديقه لوكاس ، وادعيـــا أنهما وفقا إلى اكتشاف طبقات الماس في غينيا ، وأحضرا معهما مجموعة من قطع الماس الخام بعضها ذو حجم كبير ، وطلبا فحصها وتقدير قيمتها ونوعها . وفي نفس الوقت وقعت سرقة كبيرة في شركة دي بيرس رغم الاحتياطات الدقيقة ، فعند تصدير الماس إلى انجلترا يوضع في لفافة مختومة تودع في خزانة كبيرة لها مفتاحان يحتفظ بأحدهما واحد من كبار الموظفين ويحتفظ زميل له بالمفتاح الثاني ، أما الشفرة الخاصة بفتح الخزانة فيعرفها موظف ثالث وهكذا لا تفتح الخزانة إلا في حضور الثلاثة ، ثم تسلم اللفافة الى البنك لتصديرها إلى انجلترا .

واستطرد الكولونيل يتم روايته :

وحدث إذ ذاك ان ارتاب البنك في سلامة أختام اللفافة التي سلمت اليه ، ورئي فضها ، فاذا هي خالية من الماس ، وبدلاً منه كانت هنـــاك حفنة من السكر ، ولست أدري كيف أشار إصبع الاتهام إلى جون ايرديسلي ، ولكن يبدو ان السبب في هذا هو ان سجله في انجلترا كان شائناً مخزياً ، وأنتم تعرفون طبعاً ان جون ابن سير لورنس ايرديسلي المليونير المعروف وصاحب مناجم الذهب ، ولذلك كان أبوه يخف دائماً إلى نجدته ودفع ديونه وإنقاذه من الورطات التي يتردى فيها .

وتابع ريس الحديث قائلاً: وقبض على جون ايرديسلي وتبين ان منجم الماس في امريكا الجنوبية قصة ملفقة ، كما وجد في حوزة جون بعض قطع من ماس دي بيرس ولكن القضية حفظت ولم تقدم الى المحاكم إذ تنازل دي بيرس عن شكواه بعد ان نقده سير لورنس نحو ربع مليون جنيه قيمة الماس الذي سرقه ابنه . وكان هذا الحادث صدمة للأب المسكين هدمت صحته . وحدث

بعد ذلك ان تطوع جون في الحرب ، ومات كالأبطال فمحا العار الذي دنس اسمه ، ومنذ شهر مات الأب سير لورنس وترك ثروته الضخمة لأقرب وريث له . ووريث لا يعرفه ولم يقابله في حياته .

وسكت الكولونيل ريس هنيهة ، ويبدو ان شيئاً استرعى بصر مس بيدنجفيلد ، فقد أدارت رأسها ناحية الباب ، وندت عن صدرها شهقة خفيفة . استدرت بدوري وتطلعت الى حيث كانت تنظر .

وهناك في فجوة الباب رأيت سكرتيري الثاني رايبورن واقفاً يرهف السمع إلى حديث الكولونيل ريس وتبدو في وجهه سمات الانفعال الشديد .

فلما رآنا نتطلع اليه استدار وانصرف .

وسألتني مس بيدنجفيلد : أتعرف هذا الرجل ؟

فأجبت : إنه رايبورن سكرتيري ، وكان مصاباً بدوار البحر فلم يبرح مقصورته إلا اليوم .

– ومتى التحق بالعمل عندك ؟ .

– منذ وقت قصير . قبيل قيامي بهذه الرحلة .

ثم تحولت الى الكولونيل ريس أسأله :

– وهل تعرف هذا الوريث الذي آلت اليه ثروة سير ايرديسلي الطائلة؟..

فأجاب في بساطة : طبعاً أعرفه .. فأنا هو ذلك الوريث !..

الفصل الثاني عشر

(ان بيدنجفيلد تتابع سرد قصتها)

حتى هذه اللحظة كنت أحاول وحدي ان أحل اللغز ولكني قررت أن أتخذ لي عوناً أفضي اليه بالأمر وأبادله الرأي .

وكان الكولونيل ريس أول من خطر بذهني ، ولكني انصرفت عنه ، فهو ذو شخصية قوية مسيطرة ، ولو اني كاشفتـــه لانتزع الأمر من يدي ، وتولاه بنفسه

وانبثق اسم ليدي بلير في ذهني ، فهي امرأة ذكية لطيفة المعشر ، وهي لا تفتأ توليني مودة وعطفاً .

ولم أتردد لحظة واحدة . ضغطت الجرس أستدعي الوصيفة الليلية لأستفسر منها عن رقم المقصورة التي تنزل فيها مسز بلير وبعد فترة قرع الباب وجاء وصيف يلبي ندائي معتذراً عن تأخيره قائلاً بأنه وحده القائم بالعمل والمكلف بالاشراف على جميع المقصورات .

وسألته عرضاً : ولكن اين الوصيفة الليلية ؟

فأجاب : ان الوصيفات جميعاً يفرغن من العمل في تمام العاشرة مساء .

فقلت له في استغراب: ولكن كيف هذا وفي الليلة الفائتة جاءت الوصيفة

الى غرفتي في الواحدة بعد منتصف الليل .

فهز رأسه في دهشة وقال : هذا عجيب . إن الوصيفات لا يعملن أبداً بعد العاشرة

ثم انصرف بعد ان ذكر لي ان مقصورة مسز بلير هي رقم ٧١ ، وتركني في حيرة أسائل نفسي عن سر هذه الوصيفة الليلية .. أكانت مدعية انتحلت هذه الصفة لتقتحم غرفتي في جوف الليل بحثاً عن الرجل الجريح ؟ . أم لعلها رجلا متنكراً في زي امرأة .

ومضيت الى مقصورة ليدي بلير فاستقبلتني في دهشة بقولها :

– ما الذي جاء بك في مثل هذه الساعة ؟

– لقد جئت أروي لك قصـة حياتي ، هذا إذا لم يضجرك أن تستمعي إلي

واستويت على الأريكة ومضيت أنفض اليها ما في صدري . فلما فرغت تأملتني برهة ثم قالت :

- يا لك من فتاة عجيبة ! . تقتحمين الدنيا وتطوفين بالبلاد ، ولا مال لديك ؟ . ما عساك تفعلين إن وجدت نفسك يوماً خاوية الوفاض ؟..

فأجابت ضاحكة : أبحث عن أي عمل مؤقت ثم أواصـل مغامراتي .. وبعد ان ربحت بالأمس جائزة الرقص أصبحت لدي ثروة طائلة . إن معي الآن أربعين جنيهاً .

فقالت ليدي بلير ساخرة صدقت !.. إنها في الحق لثروة طائلة .

– إني أحب المغامرة يا ليدي بلير

– أرجوك . يكفي ان تناديني منذ الآن باسمي الأول . سوزان. والآن فلنتدارس معاً ما سمعت منك. قلت لي انك تعرفت على سكرتير سير اوستاس على أنه الرجل الجريح الذي اقتحم غرفتك في جوف الليل .. لا أعني باجيت ذا الوجه الشرير ، إنما أعني الآخر المدعو رايبورن .

فأومأت برأسي مؤمنة فاستطردت :

— ولا شك ايضاً ان الوصيفة الليلية كانت وصيفة مزيفة .. فهل لك ان تصفيها لي ؟ .

فأجبت : الحق اني لم أفطن اليها تماماً ، ولكن وجهها بدا مألوفاً لي .

— ألا يمكن ان تكون رجلا متنكراً على هيئة امرأة ؟ .

— هذا محتمل فقد كانت طويلة القامة جداً .

— هذا لا ينطبق على سير اوستاس ولا على سكرتيره باجيت .

وتناولت ورقة وجرت عليها بالقلم ترسم وجهاً ثم بسطته إلي قائلة :

— تأملي هذه الصورة .. اليست هذه هي الوصيفة الليلية ؟ .

فهتفت في دهشة : تماماً .. تماماً .. لقد كان لها وجه القس المحترم شيستر ! ما أذكاك يا سوزان .. نعم هذه الوصيفة هي القس شيستر متنكراً

— لقد كنت دائماً أشك في هذا المخلوق شيستر ، فمن عينيه يطل شيطان مريد.. أتذكرين كيف اضطرب وأفلتت أصابعه قدح القهوة عندما أشرنا في حديثنا بالأمس الى المجرم الخطير كريبين ؟ . .

— كما حاول في عناد ان يظفر بالمقصورة ١٧

— تماما ، فما هو سر المقصورة ١٧ ؟ . انني أعتقد ان هذه المقصورة كانت مكاناً مضروباً للقاء سري ، فلما ذهب رايبورن الى الموعد المضروب طعنه شيستر ، وكان متنكراً في زي الوصيفات حتى لا يثير شكوك السكرتير اذا التقى به . ولكن مع من كان الموعد ؟. ربما كان مع شيستر نفسه ، او مع باجيت مثلا

فقلت معترضة : لا أظن ، فهما كسكرتيرين لسير اوستاس يستطيعان ان يتقابلا بغير حرج عشرات المرات دون حاجة إلى موعد سري في جوف الليل.

وران علينا الصمت برهة ، وفجأة قالت ليدي بلير :

ألا يجوز أن يكون هناك شيء ما مخبأ في المقصورة ؟.

ـ هذا محتمل جداً ، فقد نبش شخص مجهول متاعي بالأمس .

ـ ألا يحتمل انه كان يسعى وراء رقعة الورق التي سقطت من الطبيب المزعوم ؟..

- ربما . ولكن الأمر يبدو سخيفاً ، فهي لا تتضمن إلا تاريخ يوم معين، وقد مضى هذا اليوم .

.. أيمكنك أن تطلعيني على هذه القصاصة ؟.

وكانت الرقعة في جيبي ، قدمتها اليها فمضت تتأملها في اهتمام وقالت :

ـ ما معنى وجود هذه النقطة بعد الرقم ١٧ ؟.

وفجأة نهضت ودنت من المصباح وعرضت الورقة لضوئه ثم قالت :

ـ آن . ليست هذه نقطة وانما هي عيب او خدش في نسيج الورقة .

وكانت على حق في هذا ، حيث قالت :

ـ إذاً يجب أن نتلوا هذه الأرقـام على صورة أخرى ، أي ١٧ بعدها مسافة ، ثم ٢٢ ومسافة ، ثم رقم ١ .

وقالت سوزان : ألا تدركين المعنى الآن ؟. الرقم ١ يدل على الوقت ، أي الواحدة بعد منتصف الليل. أن الآن تقريباً . ورقم ١٧ هو رقم المقصورة أما التاريخ فهو يوم ٢٢ .

وقلت لها : ألا يجوز ان تكون هناك غلطة مطبعية في رقم المقصورة ؟.. لم لا يكون الرقم المعني هو ٧١ وليس ١٧ ؟.

وهتفت سوزان : المقصورة ٧١ ؟ . يا إلهي ! . انها حجرتي .. انها هذه الحجرة !..

فسألتها : ولكن هل الحجرة ٧١ يا سوزان هي الحجرة الأصليـــة التي اسكنها عند بداية الرحلة ؟.

. كلا ، فقد استبدلت بهذه الحجرة .

ـ إذن لمن كانت محجوزة أصلا ؟.
ـ لقد أخبرني مراقب الباخرة انها كانت محجوزة لمن تدعى مسز جراي ، وهو اسم تنكري مستعار للراقصة الروسية الشهيرة مدام نادينــــا التي أحرزت نجاحاً منقطع النظير في باريس اثناء الحرب ، وهي لم تظهر أبداً على مسارح لندن .
وقد حدثني الكولونيل ريس عنها فقـــال : انها كانت عضواً في منظمة اجرامية سرية تقوم بأعمـــال الجاسوسية والسرقات والاختلاس والتزوير ، ويرأسها رجل غامض يقال انه انجليزي الجنسية معروف باسم «الكولونيل» ، وقد عجزت الشرطة عن اكتشاف شخصيته .
واسترسلت ليدي بلير : نعم . ان نادينا هي بطلتنا انها المرأة التي يمكن أن تندمج في مثل هذه الألغــاز .. لا بد انها كانت على موعد يوم ٢٢ في هذه المقصورة أي المقصورة رقم ٧١ ، ولكن لماذا تخلفت عن ركوب الباخرة بعد أن حجزت لنفسها مكاناً ؟.
فأجبت : ربما ماتت . اني أعتقد أن نادينا هي المرأة التي قتلت في فيلا الطاحونة في مارلو .
وعند هذا ذكرت لفافة الأفلام التي عثرت عليها في الفيلا في قاع الدولاب الذي تحت النافذة . وفي نفس اللحظة ذكرت أيضاً لفافة الأفلام التي القيت من انبوبة تكييف الهواء على صدر ليدي بلير وهي راقدة في فراشها في جوف الليل . وهتفت بها :
ـ أتذكرين لفافة الأفلام ؟. انك تعتقدين انها اللفافة التي طارت من يدك عندما أختل توازن الباخرة . ولكن ما يدريك انها لفافة أخرى مختلفة .
وأسرعت ليدي بلير إلى حقيبتها وجاءت باللفافة .
وما أن فضضناها حتى تساقطت منها حفنة من الماس .

الفصل الثالث عشر

حملقت في كومة الماس في ذهول وغمغمت

— ســوزان . . هل أنت واثقــة من ان هذه القطع الزجاجية مــاس حقيقي ؟

فأجابت : إني خبيرة بالماس يا عزيزتي .. ولكن لا بد ان لهذه الماسات قصة وتاريخاً

لعلها القصة التي سمعناها من الكولونيل ريس ، فلست أشك انه سردها علينا لهدف معين .

— أتعنين أنه أراد ان يرى أثر قصته على سير اوستاس بيدلر ؟ . .

— هذا هو ما خطر لي .

— ثم استطردت ؛ ولكن من يكون الكولونيل ريس ؟ .

فقالت سوزان · المعروف عنه انه من كبــــار صيادي الوحوش ، وهو كما ذكر لنا يمت بصلة القرابة الى سير لورنس ايردسلي ، وقد أصبح وريثه الوحيد كما سمعنا منه . ويقال انه يعمل في المخابرات

ثم أردفت : ان زوجي كلارنس يعمل في وزارة الخارجيةفيمكنني انأبرق اليه استفسر منه عن الكولونيل ريس

— إنني أعتقد انه تعمد ان يروي لنا قصة المــــاس الذي سرق من شركة

دي بيرس ، فلماذا فعل ذلك ؟.. اليس من الجائز ان هـذه الماسات جزء من الماس المسروق ؟..

وران علينا الصمت برهة ، ثم عدت أقول .

ـ لقد ذكر لنا الكولونيل ريس ان جون ايرديسلي أحد اللصـين مات في الحرب ، فبودي ان أعرف مصير اللص الثاني ، أعني شريكه لوكاس .

فقالت سوزان أما انا فالذي يهمني هو هذه الماسات ، فهي محـور الحركة والجميع يلهثون وراءها . ولا يداخلني شك في ان « الرجل ذا السترة الرمادية » إنما قتل نادينا ليستولي على الماسات

فقلت في انفعال : كلا .. إنه لم يقتلها .

ـ إذاً فمن الذي قتلها ؟ .

ـ لا أدري ، ولكن ذا السترة الرمادية بريء .

ـ ولكنه كما ذكرت لي دخل البيت بعدها بدقائق ، وحين خرج كان بادي الارتباك والاضطراب .

ـ لأنه وجدها مقتولة فعلا .

ـ إذاً لا شك ان القاتل كان لا يزال موجوداً في البيت إلا إذا كان قد غادره من باب خلفي .

وتساءلت سوزان : ولكن من يكون « الرجل ذو السترة الرمادية » ؟ . ربما كان هو الطبيب المزيف الذي فحص جثة الرجل الذي صعقه التيـار الكهربائي في النفق ، ولا شك انه استطاع ان يغـير تنكره وتبع الحسناء الأجنبية الى فيلا الطاحونة حيث كانت على موعد مع كارتون قتيل النفق . ويبدو ان كارتون يخاف هذا الرجل خوفاً شديداً ، فما ان رآه على رصيف المحطة حتى استبد به الفزع فاختل توازنه وسقط فوق القضبان المكهربة . وعند ذاك ادعى كذباً انه طبيب وتظاهر بفحصه واغتنم الفرصة وسرق من جيبه قصاصة الورق ، وفي غمرة إسراعه الى الفرار وقعت منه القصاصة . ولكن ما الذي

حدث بعد ذلك ؟.

واستطردت سوزان محاولة ان تستنتج تسلسل الوقائع :

-- أعتقد انه اتصل بعد ذلك بسير اوستاس بيدلر وأقنعه بأن يتخــــذه سكرتيراً له ، وبذلك يتسنى له الفرار ومغادرة انجلترا بطريقة آمنة . ولكن كيف استطاع ان يقنع سير اوستاس؟. ترى هل يعرف من أسراره ما يخضعه به لسلطانه ؟..

-- وما يدرينا ان باجيت هو الواقع تحت سيطرته،وليس سير اوستاس؟..

وقالت سوزان : واستطراداً في استنتاجاتي يمكن ان أقول ان السكرتير رايبورن هو « الرجل ذو السترة الرمادية».وقبل ان تقع منه القصاصة استطاع أن يلقي عليها نظرة خاطفة ، وانخدع في معناها كما انخدعت انت من قبـــل ، وظن ان المقصورة رقم ١٧ هي المقصورة المدونة على رقعة الورق ، فعهد الى باجيت بأن يحجزها لنفسه ، وفي الليلة المعهودة أي في ليـــلة ٢٢ مضى الى المقصورة في جوف الليل ، وفي الطريق اليها اعترضه شخص مجهول وطعنــه في كتفه

فقلت أتساءل : ومن يكون هذا الشخص المجهول ؟

فردت سوزان القس شيستر طبعاً. ان الأمر واضح . هيا يا آن. أبرقي إلى اللورد ناسبي صاحب صحيفة الديلي بادجيت وأخطريه انك عثرت على ذي السترة الرمادية

فاعترضت بقولي : ولكنك غفلت عن بعض الأشياء .

-- كيف هذا ؟.. إن أوصاف ذي السترة الرمادية تنطبق على رايبورن.. نفس الطول ونفس القامة . وبهذه المناسبـــة ، انك وصفت رأس الطبيب لاسكوتلانديارد ، فما الذي قلته لهم ؟

-- قلت لهم ان رأسه مستطيل .

وكنت في هذا كاذبة ، فقد ذكرت لهم ان رأسه منبعج، ويبدو انذاكرة

سوزان كانت قوية إذ اعترضت بقولها

ـ إني أذكر انك وصفت لي رأسه بأنه منبعج ؟

وأصررت على الأكذوبة : بل قلت انه مستطيل .

فتأملتني سوزان برهة ثم قالت :

ـ إنك لا تحسنين الكذب يا نوريتي الحسناء ، فهل لك ان تفضي إلي بالحقيقة ؟..

ولذت بالصمت برهة ، ثم قلت

ـ لم أكد أرى رايبورن يقتحم مقصورتي في جوف الليل ولم أكد أفرغ من تضميد جرحه ، حتى شعرت اني أحبه . نعم إني هائمة به يا سوزان .

ولهذا تكذبين في وصف ذي السترة الرمادية حتى تداري الشبهات عن رايبورن ؟..

ـ نعم .. إنني مفتونة به ، وفي سبيله لن أتردد في الاقدام على أي شيء .

ولكن هذا الرجل قاتل يا آن ، فكيف تحبينه ؟

ـ بل انه بريء .. وحتى إذا كان قاتلاً فما حيلتي ؟ إن زمام قلبي ليس في يدي .

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي التقيت بالكولونيل ريس يتمشى على سطح المركب ، فتبادلنا التحية وقلت له

– كانت طريفة جداً تلك القصـــة التي رويتها لنا بالأمس .. قصة الماس المسروق . وبهذه المناسبة ما الذي حدث للشريك الثاني؟ . إنك قلت انجون ايرديسلي مات في ميدان القتال ، فكيف كان مصير لوكاس ؟

– لقد تطوع في الحرب ، وذكر اسمه بين المفقودين .

– إذاً ، فمصـير لوكاس ما زال مجهـولاً ، ولعله لا زال على قيـد الحيـاة .

وتحينت فرصة اختليت فيها بالوصيف الليلي وأجزلت له العطاء ، فقال لي انه في أثناء رحلة الباخرة من كيب تاون إلى انجلترا أعطاه أحـد المسافرين فيلماً ، وطلب اليه أن يلقيه إلى داخل المقصورة رقم ١٧ من خلال أنبوبة التكييف ، على ان يكون ذلك في الساعـــة الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٢ يناير ، وقال له هذا المسافر الغامض إن إحدى السيدات هي التي ستكون شاغلة المقصورة في تلك الليـلة ، وإن الفكرة في هذه العمليـة هي مجرد رهان ومداعبة . وذكر لي الوصيف ان المسافر الذي عهـد اليه بهذه المهمـة كان يدعى مسـتر كارتون ، وإنه لم ينبئـه باسم السيدة شاغـلة

المقصورة وعندما وصف لي كارتون أدركت على الفور انه الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة

***

مرت الأيام القليلة الباقية على نهاية الرحلة في هدوء .

وذات مساء كنا جلوساً على سطح المركب نتبادل الحديث ، وأشار سير أوستاس بيدلر الى فوضى مواعيد القطارات في ايطاليا ، وعندئذ حدث نفس الشيء المعهود ، إضطرب سكرتيره باجيت اضطراباً شديداً ، كما هو شأنه دائماً كلما أشار أحد إلى إيطاليا وفلورنسا . وحين نهض سير اوستاس ليراقص ليدي بلير اغتنمت الفرصة وقلت لباجيت :

– لكم أتوق إلى زيارة ايطاليا فانها في الحق بلاد جميلة .. ترى هل استمتعت بعطلتك التي قضيتها في فلورنسا يا مستر باجيت ؟.

– طبعاً يا مس بيدنجفيلد .. والآن هل تسمحين لي بالانسحاب لأحرر بعض الرسائل ؟

فتشبثت بذراعه وأجلسته وأنا أقول :

– إنك لا تستطيع ان تهرب مني ! إن ضميرك يؤنبك بشأن رحلة فلورنسا ، فما الذي فعلته في هذه المدينة ؟ هل وقعت في مشكلة حب ؟. هيا حدثني .

فجلس مستسلماً على كره منه وهو يقول :

– ما الذي تريدين معرفته ؟.

– هل أعجبتك فلورنسا ؟ .. هل شاهدت تمثال العذراء ولوحات رافاييل؟

– إنها رائعة .. تحفة فنية لا مثيل لها .

– وهل تناولت السمك في المطاعم المشيدة على ضفاف نهر أرنو ؟. إنهم يخرجونه من النهر حياً أمام عينيك ويشوونه لك .

– طبعاً .. لقد تعشيت هناك أكثر من مرة
– وهل تنزهت في نهر دومو في تلك القوارب الملونة الجميلة ؟.
– مرتين على الأقل .

وهكذا انزلق باجيت في سهولة إلى الفخ الذي نصبته له ، فتلك المعالم التي أشرت اليها غير موجودة في فلورنسا ، ولكنه أكد رداً على أسئلتي انه زارها ورآها ، وهذا دليل على انه لم يذهب قط الى فلورنسا فأين كان إذاً خلال عطلته ؟.. أين كان في الفترة التي جرى فيها هذا اللغز ؟.. طبعاً كان في انجلترا .

وأقدمت على خطوة أخرى جريئة .. قلت له :

– إنه ليخيل إلي انني رأيتك من قبل ، ولكن لا بد انني مخطئة بما انك كنت في فلورنسا في ذلك الوقت .

ورماني بنظرة مضطربة وقال :

– ولكن اين تعتقدين انك رأيتني ؟..

– في مارلو . إنك تعرف مارلو طبعاً . ان سير اوستاس يملك هناك بيتاً .. فيلا الطاحونة .

وانبعث باجيت واقفاً ، وبادر إلى الانصراف .

وفي تلك الليلة مضيت الى مقصورة ليدي بلير ، وأفضيت اليها بما كان بيني وبين باجيت ، وسألتها

– نعم .. كان باجيت في انجلترا أثناء مقتل الأجنبية ، فهل تعتقدين انه هو القاتل ؟..

فردت سوزان بقولها : إني مقتنعة بشيء واحد ، هو ان القاتل رجل وسيم ليست له سحنة باجيت البشعة الذميمة .

ثم استطردت : الآن عرفنا حقيقة لا شك فيها . باجيت كان في انجلترا أثناء وقوع الجريمة

— تماماً ، فعلينا أن نراقب حركاته وسكناته

— هو وغيره طبعاً ممن نشتبه فيهم .. وبهذه المناسبة . إنك لا تملكين المال إلا النزر اليسير ، وأثناء مراقبتك المشتبه فيهم ستضطرين إلى النزول في أفخم الفنادق . أننا شركاء في هذا اللغز ، فانفقي ما تشائين ولا تترددي ، فاني أضع مالي رهن إشارتك .. السنا شركاء ؟.

وبان التردد في وجهي فاستطردت سوزان :

— سنبدأ أولاً بأن تنزلي معي في فندق نيلسون على حسـابي حتى نلتقي بسهولة ونناقش خططنا .

واضطررت الى الاذعان فمضت تقول

— سير اوستاس سينزل في فندق نيلسون في كيب تاون ، ثم يذهب بعـد ذلك إلى روديسيا ، أما القس شيستر فسيذهب إلى دوربان ، وقد عرض عـلي سير أوستاس أن أصحبه في سيارته الخاصة .

— حسناً . عليك أنت ان تراقبي سير أوستـاس وباجيت ، أما أنا فسأتولى مراقبة الأب شيستر . ولكن من الذي سيراقب الكولونيـل ريس ؟..

— حسناً إن ريس مسافر إلى روديسيا أيضاً ، ولذلك سأقنع سير أوستاس بأن يدعوه الى ركوب سيـارته ، وبـذلك يتسنى لي مراقبـة المشبوهين الثلاثة .

وانصرفت الى مقصورتي ، ولكن الأرق استبد بي ، فصعدت أتمشى على سطح الباخرة ، ثم وقفت عند السياج أتأمل الليل الساجي وهدوء البحر .

ولكن فجأة جاءني نذير خفي بخطر يقترب .

واستدرت سريعاً ، ولمحت شبحاً ينقض علي ، ويطبق بيده عـلى عنقي ، فأطلقت صرخة داوية ، وجعلت أناضله على غير جدوى وهو يدفعني إلى ناحية السياج ليقذف بي من فوقه إلى أفواه الحيتان

وبدأت أضعف وأتخاذل، وفجأة سمعت وقع أقدام خفيفة سريعة، ورأيت شبحاً آخر مقبلا علينا .

وسدد القادم إلى الشبح الذي كان يحاول أن يخنقني لكمة عنيفة طرحته أرضاً ، ثم تلقاني بين ذراعيه وهو يقول في صوت يفيض قلقاً وانزعاجاً :

— هل أنت بخير ؟.. هل أصابك بسوء ؟..

وتطلعت اليه، وعرفته على الفور.. إنه «رجلي» — الرجل الذي أحببته — رايبورن سكرتير سير أوستاس .

وفي اللحظة التي كان رايبورن يطمئن فيها علي كان عدوي الخفي قد نهض واقفاً وانطلق هارباً . ولم يتردد رايبورن لحظة واحدة ، وإنما طار في أعقابه يطارده . ورجع الي رايبورن بعد لحظات وهو يقول :

— لقد وجدته مكوماً أمام باب حجرته ، ويبدو انه أغمي عليه من أثر لكمتي .

— ولكن من هو ؟.. هل عرفته ؟

— سنرى الآن .. هيا بنا .

وأخذ بذراعي إلى حيث كان الرجل مكوماً على الأرض ، وأشعل عوداً من الثقاب ، وشهق دهشة وذهولاً .

كان الرجل هو جاي باجيت سكرتير سير اوستاس .

والتفت الي رايبورن قائلا :

— إنك لم تدهشي حين عرفت أن مهاجمك هو باجيت ، فهل تبينت وجهه حين انقض عليك ؟.

— كلا فقد كان الظلام دامساً ، ولكنني كنت أتوقع الأمر من قبل

فتطلع إلي في استغراب وقال :

- هذا عجيب !.. ترى ما مدي ما تعرفين ؟ .

— إنني أعرف أشياء كثيرة يا مستر رايبورن . أم لعله ينبغي ان أقول

يا مستر لوكاس .

فأمسك ذراعي بعنف آلمني وقال :

— من أين جئت بهذا الاسم ؟

— اليس هذا هو اسمك ؟.. أم لعلك تفضل ان أناديك « بالرجل ذي السترة الرمادية » ؟..

كانت المفاجأة شديدة الوقع عليه .. خلى عن ذراعي ، وارتد الى الخلف خطوة او خطوتين ، ثم قال :

— من عساك تكونين ؟.. أأنت فتاة من البشر أم ساحرة من الجن ؟..

— بل أنا صديقة مخلصة ، أنقذتك من الموت يوماً ، وما زلت على استعداد لأن أنقذك .

فاكفهر وجهه ورد في خشونة وصلف .

لا أريد مساعدة من أحد ... لا أريد ان تكون بيني وبين أية امرأة في هذه الدنيا رابطة من أي نوع كان .

واستثارت كلماته غضبي فقلت أتوعده :

— ألا تعلم أنك في قبضة يدي ، وانني بكلمة واحدة أتفوه بها القي بك في غياهب السجون .

فضحك في مرارة وقال : بل أنت التي في قبضة يدي ، إني أستطيع أن أقتلك الآن .

— إني أعلم انك لا تريد ان تتورط في جريمة قتل أخرى .

— جريمة قتل أخرى ؟.. ماذا تعنين ؟..

وبدت الدهشة في سمات وجهه فقلت مستطردة :

— أنسيت قتيلة فيلا الطاحونة ؟..

فارتسمت على محياه أمارات وحشية وغمغم :

— هذه المرأة ؟.. لكم تمنيت حقاً ان أقتلها !..

وفاضت بمعالم وجهه سمات صارخة من الحقد والكراهية .

ثم تماسك واسترد هدوءه وقال :

– طاب مساؤك يا مس بيدنجفيلد ، وداعاً .

– بل إلى اللقاء يا مستر لوكاس .

فأجاب في خشونة :

– وداعاً ، فاننا لن نلتقي أبداً .

– بل سوف نلتقي .. لقد ربط القدر مصيري بمصيرك .

وأولاني ظهره ، وابتعد عني يدق الأرض ساخطاً في خطوات حانقة .

الفصل الخامس عشر

(نقلاً عن مذكرات سير اوستاس بيدلر)

دخل علي سكرتيري باجيت بعين متورمة وبدأ قصته بأن روى لي انه لمح رجلا يتصرف بطريقة تثير الريبة .

قال : كان الرجل يمشي في حذر وتلصص ، وكان ذلك في منتصف الليل .

– وما الذي أخرجك أنت من فراشك في مثل هذه الساعة ؟..

– كنت منهمكاً في تحرير بعض الرسائل الخاصة بك . وقبل ان آوي الى فراشي رأيت ان القي بنظرة لاطمئن على سلامتك .

واستطرد : ورأيت الرجل قادماً من ناحية حجرتك ، فاستربت فيه بسبب مشيته الحذرة المتلصصة ، ثم انحرف إلى باب قاعة الجلوس ونفذ منه ، فلم أتردد في اقتفاء أثره . وقد تبينت وجهه على الضوء الخافت.. إنه رايبورن ما في ذلك شك .

فقلت في دهشة : رايبورن !..

– إني متأكد من هذا ، ولا شك انه كان على موعد سري ، مع الكولونيل ريس .

– موعد في منتصف الليل ؟..

– ولكنه موعد سري.. ليتلقى الأوامر.. نعم يا سير اوستاس هناك شيء غامض يجري في الخفاء وإلا فلماذا هاجمني رايبورن ؟..

– وهل أنت متأكد انه رايبورن ؟ .

– إني واثق من هذا ، والدليل على ذلك ان رايبورن اختفى بمجرد نزولنا الى البر .

وكان على حق في هذا ، فاننا لم نر وجهه منذ هبطنا إلى البر .

وهكذا أثارتني قصة باجيت وملأتني غضباً ، فهذا هو سكرتيري باجيت متورم العينين، في حين ان سكرتيري الثاني رايبورن قد اختفى وتوارى كأنما انشقت الأرض وابتلعته .

وحدث بعد ذلك شيء خطير .

* * *

ذهبت الى مقابلة رئيس الوزراء لأسلمه اللفافة التي عهد إلي ميلراي ، والتي تضم مجموعة من الوثائق الخطيرة

كان الختم سليماً لم يمس ، ولكننا حين فضضنا اللفافة وجدناها لا تضم إلا مجموعة من الأوراق البيضاء .

ولعنت نفسي ولعنت ميلراي على أن أوكل إلي هذه المهمة السرية اللعينة .

وبدلاً من أن يهون علي باجيت الأمر قال لي :

– ما أدراك يا سير أوستاس انرايبورن محتال مزيف وان وزارة الخارجية لم توفده اليك ليصحبك كسكرتير إضافي ؟.. إنه زعم لديك انه موفد من قبل ميلراي ، ولكنه لم يقدم اليك أي خطاب رسمي يؤيد هذا ، فهل تحققت من أنه لم يكذبك القول ؟.

واقترح باجيت ان نبعث ببرقية إلى ميلراي نستفسر فيها عن رايبورن وفي نفس المساء جاءنا الرد بأن وزارة الخارجية لا تعلم شيئاً عن هذا المدعـو

رايبورن ، وإنها لم توفده إلي .

وما لبث باجيت ان خرج إلي بأسطورة ثانية .

جاء يهمس في أذني بأن رايبورن لا بد ان يكون هو ذلك القاتل الشهير ، « الرجل ذو السترة الرمادية » الذي يطارده رجال الشرطة ويسمون في أعقابه.

ولم أحاول في هذه المرة ان أكذبه ، فقد عودني في المرتين السابقتين ان يكون صادقاً في تأويلاته وسوء ظنه .

وقلت له : أولى بي ان أبادر بالسفر إلى روديسيا ، ولكنك لا يمكن أن تصحبني بهذه العين السوداء المتورمة ، إذ كيف أقابل أقراني من رجال الأعمال وأقدم اليهم سكرتيراً يبدو وكأنه ملاكم خرج لتوه من الحلقة مهزوماً مضروباً.

– ولكن ما عساك ان تفعل برسائلك ؟.. من الذي سيدونها لك ؟..

– سأدبر الأمر بطريقة ما ... سأعرض على مس بيدنجفيلد أن تصحبني وتعمل سكرتيرة لي .

ولشدة دهشتي اعترض باجيت بقوة على اقتراحي ، ومضى يلحف في الرجاء بأن لا أستخدم آن بيدنجفيلد .

ولكي أغيظه تشبثت بها ، وتركته ساخطاً متبرماً .

الفصل السادس عشر

(ان بيدنجفيلد تروي قصتها)

صحوت في ذلك الصباح مبكرة ، وصعدت الى الجزء الأعلى من سطح الباخرة أتطلع الى روعة الجبل الشامخ ، تكلله السحب البيضاء كأنها تاج من الزهر الناصع البياض .

وحدثت مني لفتة إذ لمحت شبح رجل في الركن القصي من المكان غارقاً بدوره في تأملاته وأحلامه .

على إني ما لبثت ان رأيته يزايل مكانه ويتجه إلى ناحيتي ويلقي إلى بالتحية . ولم يكن هذا الرجل سوى رايبورن .

وقال : أريد أن أعتذر اليك عما بدر مني بالأمس .

— لقد كانت ليلة حافلة .

— هلا غفرت لي خشونتي وسوء أدبي ؟ ..

فبسطت اليه يدي أصافحه دون ان أنطق بكلمة .

وتجهم وجهه قليلا ، وقال في نبرات رزينة :

— مس بيدنجفيلد ... أرجوك ان تستمعي إلي ... انك مستهدفة لأخطار لا يمكن ان تعرفي مداها إنك إزاء منظمة إجرامية خطيرة لا يتورعون عن

أشد جرائم القتل وحشية . إني خائف عليك .

– ولكن ما الذي يحملك على تحذيري ؟ .

فسكت برهة يتأملني ثم قال :

– إنك أنقذت حياتي ، وهذا أقل شيء اوفي به جميلك . ولكن إذا قدر لي ان أنزل إلى البر فقد أحاول ان أساعدك ؟..

– ماذا تعني بقولك إذا قدر لك ان تنزل إلى البر ؟..

– هناك آخرون يعرفون انني ذو السترة الرمادية ، فاذا وشوا بي قبض علي فوراً . وإن كنت اعتقد ان الرجل لن يبلغ عني لأنه يريد ان يستغلني، ويراني حراً طليقاً أنفع له مني مقيداً سجيناً .

ثم أردف والآن وداعاً فأغلب الظن اننا لن نلتقي مرة أخرى .

– بل سوف نلتقي .

وشد على يدي يصافحني ، وأحسست من لمسة أصابعه برجفة ، شملت بدني .

ومرت الساعتان التاليتان والقلق يكاد يفترسني ، أسائل نفسي عن مصير رايبورن . ترى هل تلقي الباخرة مراسيها فينزل الى البر في سلام ، أم يشي به ذلك الرجل الذي يعرف سره فيلقي عليه القبض ؟..

ولم أهدأ بالاً إلا حين رأيت رايبورن يغادر السفينة إلى البر دون ان يتعرض له أحد بسوء .

ولحقت بسوزان وركبنا إحدى سيارات التاكسي ، ومضينا معاً إلى فندق نيلسون لأقضي الليلة معها طبقاً لاتفاقنا .

ونزلنا في الفندق في غرفتين متلاصقتين ، ذهبت إلى سوزان في غرفتها ، فبادرت تسألني :

– أرأيت باجيت اليوم ؟.. لقد التقيت به صدفة فرأيت له عيناً سوداء متورمة كأنما تلقى لكمة عليها .

فقلت ضاحكة : إنها فعلا أصيبت بلكمة .

ورويت لها ما حدث بيني وبين باجيت ، وكيف حاول ان يخنقني ويقذف بي في البحر ، لولا ان خف رايبورن الى نجـــدتي وعاجله بلكمة طرحته أرضاً .

— هذا عجيب !.. إن اللغز يزداد غموضاً .. ويبدو انني أنا أيضــاً مستهدفة للخطر .

— لا أظن ، فانك ما زلت بعيدة عن الشبهات .

فقالت سوزان وبهذه المناسبة ناولتني هذه الورقــة ، لأبعث ببرقيــة الى كلارنس .

وخطت هذه الكلمات على الورقة :

« تورطت في لغز مثير . أرسل إلي الف جنيه فوراً » .

وأتى بعض الأصدقاء من أهل المدينة ، يزورون سوزان ، فانشغلت بهم عني ، فخرجت أتجول في المدينة ، لأشاهــد معالمها ، وأشغل وقت فراغي .

وحين عدت الى الفندق وجدت في انتظاري مفكرة من أمين المتحف يقول فيها انه عرف من قائمة ركاب الباخرة المنشورة في الصحف انني ابنة عالم الأجناس الشهير البروفسور بيدنجفيلد ، وأنه سبق ان التقى بأبي مرة أو مرتين ، ولذلك يسعده أن أتناول الشاي معه ومع زوجته في بيتــه في مويزنبرج بعد ظهر اليوم ، ووصف لي موقع الفيلا . فأسرعت الى المحطة وركبت القطار المسافر إلى مويزنبرج .

واهتديت الى فيلا ميدجي بسهولة ، وكانت في ركن قصي من الشاطىء . وفتح لي الباب خفير شاب ، فسألتــه عن « مسز رافيني » فأجــاب بأنها في انتظاري .

ودعاني الى الدخول .

وما كدت أتخطى الباب حتى انصفق ورائي في عنف ، وتقدم إلي شخص ملتح يحييني في لكنة هولندية وقال :

— إذاً قد وفقنا الى إغرائك بالحضور يا مس بيدنجفيلد .

وكانت في نبرتــه لهجة وعيــد وتهديد ، وفي عينيــه نظرة تتقد شراً .

وعندئذ وضحت لي الحقيقة في جلاء .

قد وقعت في يد الأعداء ... وذهبت الى موعد مع الموت .

الفصل السابع عشر

قلت اخاطب الرجل الملتحي :

– لقد دعاني أمين المتحف لكي أتنـاول الشاي معه ، فاذا كنت قد أخطأت البيت . . .

فقاطعني : انك لم تخطئي البيت ، وانما أخطأت في قبول الدعوة أصلا . . أنك اسيرتي يا مس بيدنجفيلد .

– وبأي حق تحتجزني ؟ . سوف ابلغ الشرطة . .

فضحك في سخرية وقال :

– هذا إذا قدر لك أن تغادري هذه الفيلا وأنت على قيد الحياة

فاستويت جالسة على أحد المقاعد وأنا اقول

– يجب أن انبهك إلى ان اصدقائي يعرفون وجهتي ، فاذا لم أعد اليوم حتى المساء جاءوا يبحثون عني ومعهم رجال الشرطة .

فقال يتحداني : – إذن فأصدقاؤك يعرفون مكانك ؟ . . من منهم يا ترى ، فان اصدقائك كثيرون

وكان لا بد أن أقبل التحدي ، فأجبت وأنا أعلم اني كاذبة :

– ليدي بلير . وهي صديقة لي وأنزل معها في نفس الفندق .

– ان اكذوبتك مفضوحة يا مس بيدنجفيلد فانك لم تقابلي ليدي بلير منذ الحادية عشرة صباحاً لانشغالها مع بعض الاصدقـــاء ، في حين انك تسلمت

رسالتي وأنت على مائدة الغداء .

وأدركت من رده أن تحركاتي كانت موضع المراقبة .

وقلت له : ترى ألم تسمع أبداً بذلك الاختراع الذي يسمونه التليفون ؟ .. لقد اتصلت بي ليـدي بلير تليفونياً وانا في غرفتي بعد الغداء ، فأخبرتها انني ذاهبة إلى فيللا ميدجي في مويزنبرج لتناول الشاي .

وأفلحت خدعتي فقد بدت امـارات القلق في وجهه الهولندي إذ صدق قولي .

ثم هب واقفاً وهو يقول : — ألا حسبك هذا .

وسألته وانا أحاول ان ابدو هادئة متماسكة :

- وما الذي تنوي أن تفعل بي ؟ .

— سأودعك مكاناً لا تملكين فيـه ان تسيئي الينا إذا ما جاء اصدقاؤك في أعقابك

وسرت البرودة في أوصالي إذ فهمت من كلماته انه ينوي أن يقتلني .

واستطرد يقول : عليك غداً أن تجيبي على بعض الأسئلة ، وبعدها ننظر فيما سوف نفعل بك .

وشاع الاطمئنان في نفسي ، فسوف أظل على قيد الحياة حتى صباح الغد على الأقل

وقد فهمت من ارجائه الأمر إلى الغد انه مجرد مرؤوس لا يملك من الموقف شيئاً ، ولكن ترى من يكون هذا الزعيم ؟ . أيكون هو باجيت ؟

واستدعى الهولندي اثنين من الخفراء ، وامرهما ان يصعدا بي إلى الطابق الأعلى ، وامرهما بشد وثاقي وتقييد يدي وقدمي بحبل احكما شده حتى كاد ان ينغرز في لحمي .

وانحنى الهولندي امامي في سخرية وقال :

— إلى اللقاء غداً يا ضيفتي العزيزة .

وتركني وحدي عاجزة موثقة اليدين والساقين لا أجد وسيلة الى الخلاص . وحاولت ان أتخلص من قيودي فانغرز الحبل في لحمي وآلمني إيلاماً شديداً ، وأرهقتني المحاولة وأنهكت قواي ، فما لبثت ان غرقت في النوم .

وحين صحوت كان الليل قد هبط . وعلى شعاع ضوء القمر الذي يتسرب من النافذة لمحت شيئاً يبرق في ركن الغرفة . وركزت بصري على هذا الشيء ، وتبينت كنهه على الفور .. إنه قطع من الزجاج المكسور .

لو انني استطعت ان أصل إلى هذا الركن القصي من الغرفة ، وان أمسك بقطعة من الزجاج أحك بها الحبل الذي يدور بمعصمي وساقي .. لو ان هذا حدث لنجوت .

وبدأت أتدحرج على الأرض ، خطوة بعد خطوة ، والحبل يلهب جسدي بالألم .

وأخيراً وصلت إلى قطع الزجاج المكسور ، وجاهدت طويلاً ان أسند قطعة منها على الجدار ، وأخيراً أفلحت ، وبدأت أحك الحبل الدائر بمعصمي في سنها الحاد. ورويداً أخذ نسيج الحبل ينبري، واخيراً بشدة واحدة انقطع الحبل وإذا بيدي حرة طليقة .

وكان الأمر بعد ذلك سهلاً هيناً ، إذ استطعت دون عناء ان أقطع باقي قيودي .

وكان الشيء الذي أتلهف اليه في هذه اللحظة لقمة خبز أتبلغ بها وأسد بها جوعي إذ لم أكن تناولت شيئاً منذ الغداء ولكن اين السبيل إلى ما أرجو .

فتحت باب الغرفة في حرص وحذر ، ولم يكن لحسن حظي مغلقاً بالمفتاح من الخارج ، إذ لم يروا ما يدعوهم الى ذلك وأنا موثقة القياد لا سبيل لي إلى الهرب .

تسللت الى الممشى ، ثم بدأت أهبط درجة بعد درجة ، في خطو رفيق حذر . وعندما بلغت منعطف السلم لمحت الخفير الصبي جالساً على مقعد بالقرب

من الباب ، فجمدت مكاني خائفة مرتعبة ، ولكني ما لبثت ان أدركت انه غارق في النوم .

وتابعت نزولي في جرأة ، وبلغت باب الغرفة ، والصقت أذني بضلفته ، فلم أكد أتبين إلا أصواتاً مختلطة غير واضحة . فملت الى ثقب الباب اختلس النظر من خلاله .

كان سجاني الهولندي جالساً في صدر الغرفة ، وكان هنـــاك رجل آخر وعرفته على الفور انه القس شيستر رفيقي في الباخرة « قصر كيلموردن » ! .

وجعلت أذني على ثقب الباب ، وبدت الكلمات أكثر وضوحاً وجلاء .

تبينت صوت الهولندي وهو يقول :

ـ لنفرض ان أصدقاءها جاءوا يبحثون عنها .

وأجابه شيستر : إنها تحاول ان تخدعكم ، فانهم لا يعرفون مكانها . ومع ذلك فهذه هي أوامر « الكولونيل » .

فقال الهولندي مزمجراً : ولكن لمَ لا نقتلها في الحال ونحملها الى المركب ونقذف بها في اليم .

فقال شيستر : ولكننا لا نستطيع ان نخالف أوامر الكولونيل .. إنه يريد ان ينتزع منها بعض المعلومات .

وقلت في نفسي وأنا أستمع الى هذه الكلمات :

ـ معلومات عن الماس طبعاً .

فقال شيستر . والآن ناولني القوائم لأطلع عليها .

وأخيراً سمعت القس شيستر يقول :

ـ حسناً . سآخذ هذه القوائم معي لأطلع عليها الكولونيل

ـ أتريد ان تقابل الفتاة ؟ ..

ـ كلا .. فقد أمر الكولونيل ان تترك وحدها حتى يحضر اليها غداً .. إنها طبعاً موثقة القياد باحكام

فأجابه الهولندي : طبعاً فأنا الذي قيدتها بنفسي .

وسمعت القس شيستر يزيح مقعده تهيؤاً للانصراف، فأسرعت بالانسحاب، وتسللت راجعة إلى سجني ورقــدت على الأرض كما كنت من قبل ، ولففت الحبال حول معصمي وساقي حتى إذا خطر لهم ان يلقوا نظرة علي ، وقع في روعهم أنني ما زلت أرسف في أغلالي

ولبثت ساعة ساكنة في مرقدي الحين فرصة للفرار ، ولكنني حين تسللت من الغرفة مرة أخرى وجدت الخفير ما زال جالساً على مقعده عند البـــاب ، ولكنه كان يقظاً ساهراً على الحراسة .

وطلع الفجر ، وبدأت الأصوات من الطابق الأرضي ، فوقفت ببـــاب غرفتي أنصت اليها.

وأدركت مما سمعت أنهم فرغوا من تناول الفطور ، ثم غادر شيستر المنزل يصحبه الهولندي . وأطللت من فوق الدرج فوجدت الخفير يدخل إلى قاعة الطعام ليرفع الصحاف .

وعندئذ لم أتردد لحظة واحدة..هبطت الدرج مسرعة وانطلقت إلى الخارج وأنا أجري بكل سرعتي .

الفصل الثامن عشر

كان الناس يتطلعون باستغراب الى هذه المرأة التي تركض بأقصى سرعتها ، ولكنني كنت لا أنفك أسألهم من حين لآخر « أين المحطة » ؟.. فيشيرون اليها وأتابع الجري ، وتتبدد دهشتهم على الفور إذ من المألوف ان يجري المرء ليلحق بقطاره قبل ان يتحرك .

وحين رأتني سوزان ارتمت على صدري وهي تقول :

— اين كنت يا حبيبتي آن ؟.. اين بت الليـــلة ؟.. لقد انزعجت عليك انزعاجاً شديداً .

— كنت غارقة في المغامرات .

ورويت لها ما مر بي ، فقالت :

— لقد استهدفت حقاً للموت .

ثم أردفت : والآن ما هي خطتنا المستقبلية ؟..

— إنك مسافرة طبعاً إلى روديسيا الراقبي باجيت .

— وأنت ؟.. ما الذي تنوين ؟

وكان سؤالاً من الصعب الإجابة عليه .

لقد رأيت القس شيستر بين المتآمرين ، ولكنه لا يعرف اني كشفت سره ، فاذا استطعت ان أرقب تحركاته فذلك كفيل باماطة اللثام عن اللغز الخفي .

ولكن ما الذي يعتزمه شيستر الآن ؟.. هل ينوي ان ينفذ خطته الأصلية فيسافر إلى ديربان ، أم أنه عدل عن ذلك وسيواصل رحلته على الباخرة .

ورأيت ان أسافر الى ديربان ، فاذا ما بلغه فراري فلا أسهل عليه من ان يزايل المركب في أحد الموانىء ويلحق بي في ديربان .

وعلمت ان القطار يتحرك الى ديربان في الثامنة .

وسألتني سوزان ونحن نتناول الشاي في قاعة الجلوس :

– وهل تستطيعين يا ترى ان تتعرفي على شيســتر ؟.. أعني إذا تنكر على صورة أخرى .

ودخل الكولونيل ريس إلى القاعة في هذه اللحظة وانضم الينا .

وسألته سوزان : إني أرى سير اوستاس اليوم .

– إن لديه مشكلة أقضت عليه مضجعه .

– حقاً ؟.. حدثنا عنها إذاً .. ما هي مشكلته ؟

فسكت هنيهة ثم قال : ما رأيك اذا عرفت ان الرجل ذا السترة الرمادية كان رفيقاً لنا طوال هذه الرحلة ؟

فضحكت سوزان : حقاً ؟ ماذا تقول ؟

واستطرد ريس : ورجال الشرطة يراقبون جميع الموانيء .. لقد استطاع ان يخدع بيدلر ويلتحق بالعمل لديه سكرتيراً له .

– أتعني ان باجيت هو « ذو السترة الرمادية » .

– بل أعني السكرتير الآخر .. رايبورن .

فتساءلت سوزان : وهل قبضوا عليه ؟

– لقد ذاب في الهواء .

– وما هو رأي سير أوستاس فيما حدث ؟

– إنه يكاد يجن غضباً .

وتسنى لنا بعد الظهر أن نعرف رأي سير اوستاس في الأمر فقد دعانا إلى

مشاطرته الشاي .

وقال وفي صوته نبرة من الغضب :

— أولاً إمرأة أجنبية تقتل في بيتي في فيلا الطاحونـة ، فلماذا اختارت بيتي دون بيوت الناس أجمعين ؟

واستطرد : وثانياً يأتي القاتل إلي ، وبكل جسارة ، ويطلب مني أن ألحقه بخدمتي سكرتيراً .. وهكذا أصبح لي سكرتيران : أحدهما قاتل سفاح ، والثاني يدمن الخمر حتى يفقد توازنه فيقع على الأرض وتتورم عينه .

والتفت سير اوستاس إلي وقال :

— ما رأيك يا مس بيدنجفيلد في ان تعملي سكرتيرة لي بصفة مؤقتة ريثما تشفى عين باجيت المتورمة ؟

فقلت . شكراً لك يا سير اوستـــاس ، ولكنني مسافرة الليلة إلى ديربان ؟..

وحاول ان يغريني بالقبول ، ولكنني أصررت على الاعتذار .

وضغط السير اوستاس الجرس واستدعى باجيت .

وقال له : لقد اعتذرت مس بيدنجفيلد عن العمل سكرتيرة لي ، فاذهب الى الغرفة التجارية وأبحث لي عن سكرتيرة تجيد الاختزال ، ويجب أن تكون جميـلة ، وان لا يكون لديها اعـتراض على ان أمسك بيدهـا أو أربت على وجنتها .

وحين خلوت إلى سوزان قلت لها :

— علينا إذاً ان نعدل خطتنا ، فباجيت باق هنا ولن يرافق سير اوستاس في رحلته إلى روديسيا ، وبذلك سيفلت من مراقبتك له .

— إذاً سأبلغ سير اوستاس اني عدلت عن مرافقته إلى روديسيا .

— لو انك فعلت هذا لأثار تصرفك شكوك باجيت . ثم ان سفرك ضروري على أية حال حتى يتسنى لك مراقبة الآخرين .

وأخذنا نتداول في الأمر ، واخيراً قلت :

– إسمعي يا سوزان .. إن لدي فكرة ستمكنني من مراقبة باجيت .. سأتظاهر بأنني مسافرة الليلة الى ديربان ، ثم أمضي الى أحـد الفنادق فأقضي فيه ليلتي خفية دون ان يخطر ببال احد انني لم أغادر كيب تاون وفي الصباح أغادر الفندق متنكرة وأقتفي خطوات باجيت .

– هل تنوين ان تضعي شارباً مستعاراً ؟

فضحكت وأجبت : سأضع نظارة سوداء سميكة ، وأغير تصفيف شعري ، وأدهن حاجبي بخط أسود كثيف ، فاذا ما رآني باجيت استحال عليه أن يعرفني

وأقرت سوزان هذه الخطة وراقت لها .

وتناولنا العشاء على مائدة سير اوستاس ، وكان في نيتي ان أودعه بمسمع من باجيت وان أقول له إنني مسافرة الليلة الى ديربان ، ولكن باجيت تناول طعامه في عجلة وزايل المائدة قبل ان تتاح لي هذه الفرصة .

ولما فرغنا من العشاء ذكرت لسير اوستاس انني مسافرة فقال :

– هكذا سمعت . وبهذه المناسبة يمكنك ان تستقلي السيـارة مع باجيت ليوصلك الى المحطة فانه خارج الآن .

وكان هذا طبعاً كفيلاً بأن يفسد خدعة تظاهري بالسفر الى ديربان ، فقلت معتذرة :

– شكراً لك ، فقد استدعت ليدي بليز تاكسياً وستصحبني الى المحطة .

ومضينا إلى ردهة الفندق وقلت لأحد السعاة :

– استدع تاكسياً وانقل اليه حقائبي .

وسمعت صوتاً ورائي يقول :

– لا داعي للتاكسي .. يمكنني ان أنقلك الى المحطة بسيارة سير اوستاس ، فاني خارج الآن .

وكان المتكلم هو باجيت .

واعتذرت ، ولكنه الح ، ولم أر مناصاً من القبول حتى لا أثير شكوكه .

وتوقفت بنا السيارة أمام مبنى المحطة ، وأتى أحد الحمالين فحمل حقيبتي ، ومددت يدي الى باجيت أصافحه واشكره ، ولكنه قال :

– إن لدي متسعاً من الوقت فلا بد ان أصحبك إلى داخل المحطة الى ان يتحرك القطار .

وهكذا صحبني حتى استويت جالسة في مقصورتي ، ووقف مع سوزان على رصيف المحطة يتحدثان إلي، ولكنني كنت لاهية عنهما لا أكاد أفقه حرفاً مما يقولان .

كيف أتخلص من هذه الورطة ؟.. انني لم اكن أنوي السفر الى ديربان ، ولكن وجود باجيت يحول دوني والتسلل من القطار ، فما العمل ؟. ما العمل؟.

ويبدو ان سوزان هي الأخرى كانت تفكر في طريقة تنقذني بها من هذه الورطة

تطلعت الى ساعتها وقالت : سيتحرك قطارك بعد خمس دقائق.. إنها رحلة طويلة شاقة ، وسوف تعانين من الحر ، فهل اتيت معك بقنينة كلونيا ؟

وفهمت ما ترمي اليه فقد كانت هي نفسها التي زودتني بقنينة كلونيا . فهتفت في رنة أسف

– يا إلهي !. لقد نسيت .

وتحولت سوزان الى باجيت وقالت له :

– أمام المحطة صيدلية فأسرع واشتر قنينة كلونيا .

قال معترضاً ولكن الوقت ضيق .

– امامك اربع دقائق فاذا أسرعت عدت في الوقت المناسب .

وتلكأ باجيت وتردد ، ولكن ليدي بلير بلهجتها الآمرة صرخت فيه :

– هيا .. تحرك اسرع . اسرع .

ولم يسع باجيت إلا ان يلبي امرها .
اسرع يهرول عبر الرصيف حتى خرج من فناء المحطة .

وهتفت بي سوزان : والآن اخرجي من الباب الثاني للمركبة ، وانزلي على الرصيف المقابل وتواري عن الأنظار ، فان باجيت لن يعود إلا بعد ان يتحرك القطار .. أما ثيابك فلا تهتمي بها . فيمكنك ان تشتري غيرها على حسابي. اما انا فسأظل واقفة بجانب نافذة المقصورة اتظاهر بأنني اتحدث اليك .

واسرعت انفذ المؤامرة .. في خلال ثلاث ثوان كنت متوارية وراء أحـد الأعمدة على الرصيف المقابل .
ونجحت الخطة ، وتحرك القطار وباجيت قادم يلهث ركضاً عند باب المحطة .
ولوحت سوزان يدها كأنها تودعني والقطار يبتعد ويزيد من سرعتـه رويداً رويداً .
ولحق بها باجيت وفي يده قنينة الكلونيا ، فالتفتت اليه سوزان قائلة
— آه .. إنك تأخرت .. هذا شيء يؤسف له ..

وفيما أنا أخرج من باب المحطة مهرولة اصطدمت برجل ضئيـل الجسم ذي أنف ضخم لا يتناسب مع وجهه الصغير ، فاعتذرت اليه ، وتابعت طريقي .

الفصل التاسع عشر

لم أجد صعوبة في تنفيذ خطتي ، فقد اهتديت بسهولة الى فندق صغير في احد أركان المدينة .

وغادرت الفندق في الصباح الباكر وذهبت إلى المدينة لأشتري مجموعة من الفساتين الرخيصة وقبعة اخفي بها معالم وجهي .

وإذ فرغت من شراء ما احتاج اليه ركبت الترام ، ومضيت إلى إحدى الضواحي الريفية ، ورحت أتمشى في الشوارع الهادئة استمتع بالهواء النقي حتى يحين وقت سفر سير اوستاس .

وانعطفت في شارع جانبي ، ثم لاحظت ان رباط حذائي قد انحل فانحنيت أربطه . وبرز من المنعطف ورائي شخص كاد ان يصطدم بي وانا منحنية فوق الحذاء فرفع قبعته وتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، ومضى في طريقه . وخيل إلي ان وجهه مألوف لدي ، وفجأة ذكرت هذا الوجه .

إنه نفس الشخص الضئيل الجسم ذي الأنف الكبير والذي اصطدم بي عند مغادرتي المحطة .

ما الذي أتى بهذا الشخص إلى هذه الضاحية القصية ؟.. هل تراه يتعقب خطواتي ؟..

وتطلعت في ساعتي واتجهت الى محطة الترام ، ولمحت قطاراً يكاد يتحرك ،

فأسرعت اركض لألحق به . وسمعت وقع خطوات تركض في أعقـــابي ، فالتفت خلسة ، فاذا بذي الأنف الكبير هـــو الذي يتعقبني . وفي اللحظة التي بلغت فيها الترام وتعلقت به ، كان هو الآخر قد حذا حذوي وتعلق بنفس الترام .

ترى أكان الأمر مجرد صدفة أخرى ، أم انه يطاردني ويتعقبني ؟.

وأردت أن أستوثق من الأمر ، فشددت حبل جرس الترام فجأة قبل ان يبلغ المحطة التالية ، ونزلت فيها ، ولم يكن في وسعــه أن يحذو حذوي وإلا كشف نفسه .

وتواريت في أحـــد الأركان ، ثم رأيته قادمــاً من ناحية المحطــة التالية ، وهو يوسع الخطى لاهثــاً ، وعيناه تدوران في أرجاء المكان بحثاً عني .

ولم يعد في الأمر خفاء بعد هذا .. إنه جاسوس يتعقب خطواتي . وإذاً فبجاي باجيت يعرف الآن انني لم أسافر إلى ديربان ، فأطلق هذا الشخص في أثري .

وركبت الترام التالي ، وفعل مطاردي مثلما فعلت .

وأيقنت عندئذ أن المسألة ليست قاصرة على باجيت وحـــــده ، إذ لا شك انني إزاء منظمة قوية يرأسها هذا « الكولونيل » الغامض، ولها أعوان وأنصار في كل أنحاء البلاد .

واستعدت الى ذهني بعض ما دار من حديث في الباخرة « قصر كيلموردن» وكيف كانوا يتحدثون عن الاضراب الشامل الذي سيقوم به العمال ، وحوادث التخريب التي وقعت دون ان يكتشف الشرطة مرتكبيها .

لا شك ان « الكولونيل » الغامض وراء هذه الأحداث كلها .

وبلغ الترام محطة شارع اديرلي فنزلت منه ، ومضيت أسير على الافريز الأيسر ، ولم أحاول أن أختلس النظر ورائي ، فقد كنت موقنة من أن

مطاردي في أعقابي .

ودخلت إلى كافتيريا مررت بها في طريقي ، وجلست إلى طاولة البار ، وطلبت « آيس كريم بالصودا » ، وأخذت ارشفها على مهل ورأيت مطاردي يدخل ورائي ويجلس إلى مائدة قريبة من باب الكافتيريا .

وفجأة هب مطاردي واقفاً وخرج الى الطريق .

وخطر لي انه لا بد ان يكون قد خرج لأنه لمح في الطريق شخصاً ما وأراد ان يتحدث اليه .

وتطلعت إلى الخارج ورأيت مطاردي يتحدث إلى شخص آخر ، وما كان هذا الشخص إلا جاي باجيت .

وتبادلا الحديث برهة ، ويبدو ان باجيت أصدر اليه تعلياته إذ ما لبثت ان رأيته ينصرف إلى شأنه بعد ان تطلع في ساعته .

ولشدة دهشتي رأيت مطاردي يعبر الطريق ويتجه إلى شرطي كان واقفاً على الافريز المقابل .

وتحدث الرجل طويلاً إلى الشرطي ، وكان في خلال ذلك ، يشير إلى الكافتيريا .

ترى ما الذي يريده مطاردي من الشرطي ؟.

وفجأة وضحت الخطة لي وانجلت أمام عيني .

إنها نفس المؤامرة الجهنمية القديمة : فكما اتهموا هاري رايبورن من قبل بأنه هو الذي سرق ماسات دي بيرس ولفقوا له هذه التهمة الزائفة – فانهم يريدون الآن أن يلصقوا بي أية تهمة .. تهمة نشل مثلاً – حتى يقبض علي الشرطي ويزيحوني من الطريق .

وأسرعت إلى البار ونقدت البائع ثمن « الآيس كريم » ، ولشدة دهشتي وجدت في حقيبتي حين فتحتها محفظة محشوة بأوراق النقد .

يا لدهائهم وبراعتهم ! . لقد استطاعوا ان يدسوا الحافظة في حقيبتي ليتخذوا

منها دليلاً على انني نشلتها من مطاردي ، وبذلك يطبق علي الاتهام .

وخرجت من الكافتيريا مسرعة ورأيت مطاردي وفي رفقتـــه الشرطي يتجهان إلى ناحيتي ، فأسرعت أركض صوب محطة السكة الحديد ودخلت إلى فناء المحطة من الباب الرئيسى في شارع أديرلي ، ثم نفذت من الباب الجانبي ، ولكن مطاردي لم يحاول ان يلحق بي إذ وقــع في روعه انني سأدور حــول المبنى لأدخل مرة أخرى من الباب الرئيسي لأستقل أي قطار على وشك السفر ، ولذلك آثر ان يرتد مع الشرطي وان يعــودا ثانية إلى البــاب الرئيسي ، ولكنني ما كدت أراهما يفعلان ذلك حتى نفذت من الباب الجانبي وعدت الى المحطة .

ورأيت قطاراً يتحرك ، وأدركت على الفور انه القطار الذي يستقله سير اوستاس إذ كان هذا هو موعد مسيره ، وقفزت اليه .

ورآني مطاردي والشرطي أثب إلى القطــار فأسرعا في أثري ، ولكن كان مستحيلاً ان يلحقا بي ، وقد بدأ القطار يزيد من سرعته ويطوي الأرض .

واتى قاطع التذاكر وقلت له

– إنني سكرتيرة سير اوستاس بيدلر ، فأرجــوك ان تذهب بي إلى حجرته .

وفوجىء سير اوستاس وأصحابه حين دخلت عليهم .

وهتف الكولونيل ريس :

عجباً !.. أنت هنا ... كنت أظن انك ســـافرت ليلة الأمس إلى ديربان ! .

وضحك سير اوستاس وقال :

– إني سعيد بعودتك ، وقد سئمت سكرتيرتي الدميمة مس بيتجرو ، فاني لفرط دمامتها لم أستطع ان أمسك بيدها او أربت على وجنتها . أما الآن

فها أنت ذي قد جئت نجدة لي ، فهيا اقتربي لأربت على وجنتك وأغرقنا جميعاً في الضحك.

وحين دخلت علينا مس بيتجرو ، بعد لحظات ، ورأتني عراهـــا اضطراب مفاجيء ، وأفلتت أصابعها قلم الرصاص الذي كانت ممسكة به فانكسر سنه .

فلماذا اضطربت ؟.. نعم ، لماذا ؟.. كان هذا سراً مستغلقاً لم أجـــد له تعليلا .

الفصل العشرون

(نقلا عن مذكرات سير اوستاس بيدلر)

ها أنذا الآن مسافر الى روديسيا ومعي ثلاث سكرتيرات . وقد احتكر ريس لنفسه الفتاتين الجميلتـين ، وتركني مع تلك الدميمة مس بينجرو التي نكبت بها .

إن هناك شيئاً عجيباً غامضاً بشأن آن بيدنجفيلد .. لقد ذكرت لي ليلة الأمس انها مسافرة إلى ديربان ، ثم اذا بها تظهر فجأة في اليوم التالي ، وتقفز إلى القطار في اللحظة الأخيرة بعد ان تحرك .

فأين كانت ؟. وأين امضت ليلتها ؟.

وقد أكد لي باجيت انه شيعها الى المحطة ، وان القطار تحرك بهـــا أمام عينيه

الحق ان لدي حفنة عجيبة من السكرتيريين

السكرتير الأول قاتل سفاح هارب من الشرطة .. والثـاني سكير مدمن سافر الى فلورنســا ليتورط في بعض الجرائم او المـؤامرات .. والسكرتيرة الثالثة فتاة حسناء لها القدرة على ان توجد في مكانين مختلفين في وقت واحد : في ديربان وفي الوقت ذاته في كيب تاون . أما السكرتيرة الرابعة مس بيتجرو

فلا شك انها عضو في إحدى العصابات .

وضقت ذرعاً بهذه الخواطر التي انهالت علي فمضيت الى شرفة المركبة الأخيرة ، ورأيت الكولونيل ريس محاطاً « بحريمه » وهو يسرد عليهن حكاياته التافهة

وكانت ليدي بلير تحمل آلة تصوير وهي منهمكة في التقاط عشرات الصور لكل ما حولها — حتى للقطار الذي تستقله .

وسألتني ليدي بلير إلى متى تنوي ان تظل في مدينة الشلالات يا سير أوستاس ؟ . .

فأجبت في حذر : هذا يتوقف على الحالة في جوهانسبرج . فاني لا أريد ان ازورها في الوقت الحاضر لأني اعتقد ان الثورة وشيكة الاندلاع .

فابتسم الكولونيل ريس وقال في استعلاء :

— إن مخاوفك لا أساس لها يا سير اوستاس، فجوهانسبرج مدينة هادئة .

واحرجتني كلماته وقد بدوت امام النساء الحاضرات جباناً رعديداً تذهب بي الأوهام كل مذهب .

وقلت له في برود : أحسبك تنوي ان تزور جوهانسبرج ؟

— هذا محتمل جداً، ولو ان أصحبك اليها .

— ربما اطيل إقامتي في مدينة الشلالات .

ولكن لماذا يحاول ريس ان يغريني بزيارة جوهانسبرج ؟. لعله مغرم بآن بيدنجفيلد ، ولا يريد ان يفترق عنها ، إذ انه يعلم انها ستظل في صحبتي .

وإذ كشف لي شيء من غموض آن بيدنجفيلد ، وقد لاح لي انها تعمل محررة في صحيفة الديلي بادجيت ، وقد بعثت وهي في مدينة « دي آر » بالعديد من البرقيات الى صحيفتها .

وقد خيل إلي من الثرثرة التي تناهت إلى اذني طوال الليل وهي تحدث ليدي بلير في مقصورتها وتتلو عليها مقالاتها انها كانت منذ اسابيع تطارد

الرجل ذا السترة الرمادية ، وانها لم تكن تعرف انه يشاطرها نفس الرحلة في الباخرة كيلموردن .

وفهمت ايضاً من حديثها مع ليدي بلير انها اكتشفت شخصية الأجنبيـة التي قتلت في البيت الذي املكه في مارلو، اي في فيلا الطاحونة . وقد عرفت انها راقصة روسية شهيرة تدعى نادينا .

ومهما يكن من الأمر فقد قالت في برقياتها للصحيفة ان شرطة جنوب افريقيا تبحث عن الرجل ذي السترة الرمادية ، وان اوصافه وزعت على جميع رجال البوليس .

وفي كل محطة نقف فيها تشتري هي وليدى بلير تلك الدمى الصغـيرة الحقيرة التي يصنعها المواطنون من اهل البلاد – حتى قد بلغ عدد ما اشتريتاه منها حوالي خمسين دمية .

ترى ما سر غرامهن بهذه الدمى المضحكة التافهة ، المصنوعـة بطريقة بدائية سخيفة .

الفصل الحادي والعشرون

(آن بيدنجفيلد تتابع قصتها)

كان البائعون ينقضون على القطار ومعهم دمى من الخشب تمثل الحيوانات التي تزخر بها الغابات .

والذي حدث بعد هذا اننا بدأنا نشتري هذه الدمى في كل محطة نقف فيها، بل أخذنا نتنافس على الشراء مأخوذتين مبهورتين .

وفي الليلة التي انضممت فيها الى جماعة سير اوستاس بيدلر في القطار سهرت في حجرة سوزان أروي لها تفاصيل الأحداث التي مرت بي ، وكيف أن المنظمة السرية اصبحت تتعقب خطواتي في وحشية ، وكيف انهم يرمون إلى اختطافي لينتزعوا مني بعض المعلومات .

وطرأت ببالي فكرة جديدة وقلت لسوزان :

- ولكن لمَ لا يكون باجيت هو نفسه « الكولونيل » الغامض ، رئيس العصابة الخفي .

ولكن سوزان أبت ان توافق على هذه الفكرة ، قائلة ان باجيت ضعيف الشخصية ، فلا يمكن ان يسيطر على هذه المنظمة الإجرامية القوية .

وقلت : حسبه ان يكون الرأس المدبر المفكر : يخطط ويدير .

وفجأة قلت : وعلى فكرة . كم أتمنى ان اعرف كيف جمع سير اوستاس ثروته الطائلة .

– يا إلهي !. أما زلت تشكين فيه ؟.

– اني لا أملك إلا ان أشك في كل انسان .

فقالت سوزان : لقد ترامى إلي انه جمع ثروته بوسيلة يكره أن يتحدث عنها .

– لعلها إذاً وسيلة ملتوية غير شريفة .

– هذا جائز

وبدأنا بعد ذلك نناقش موقفي بالنسبة إلى صحيفة الديلي بادجيت .

ان رأسي زاخر بالمعلومات ، فلماذا لا ابعث بها إلى صحيفتي لنشرها ؟. لقد أكتشفت ان هاري رايبورن هو الرجل ذو السترة الرمادية ، وان كنت أعلم انه بريء من تهمة قتل الراقصة الروسية نادينــا . ونشر هذه القصة لن يزيد موقفه سوءاً لأن جميع رجال الشرطة يجدون في أثره .

وهكذا استقر رأيي على أن ابعث إلى الديلي بادجيت بكل ما لدي من معلومات .

ونشرت الديلي بادجيت التحقيق الذي بعثت به اليها تحت عناوين بارزة . وجاءتني برقية من اللورد ناسبي يهنئني على توفيقي ونجاحي .

الفصل الثاني والعشرون

وصلنا إلى بولا وايو صباح السبت .

وكان سير اوستاس ساخطاً عصبياً ، وأعتقـــد أن دمى الحيوانات التي اشتريتها انا وسوزان هي التي اثارت حنقه ، وخاصة تلك الزرافـــة الخشبية الكبيرة الحجم التي عهدنا اليه بحملها .

ويجب ان اعترف ان حمل خمسين دمية من هذا الطراز كان كفيلاً بأن يربكنا ويضايقنا .

وقد حمل أحد الحمالين جزءاً من هذه الدمى كما حمل الكولونيل ريس بعضها. وكان من نصيب مس بيتجرو شيئاً منها أيضاً .

وبعد الظهر ذهبت مع كولونيل ريس نزور قبر رودس .

أخذت السيارة الفورد العتيقة تشق بنـــا الطريق إلى جبل ماتابوس ونحن صامتان لا نكاد نتبادل كلمة واحدة .

وانتهينا إلى منطقة مليئة بصخور ضخمة ، فقلت وانا اتأملها :

– من يرى هذه المنطقة البدائيـــة يخيل اليه انها كانت مسكونة في قديم الأزمان بالجان والعمالقة

فقال الكولونيل ريس مؤمناً : صدقت .. وافريقيا كلها على هذا النمط : وحشية بدائية كأنها بلاد المردة .

ونزلنا من السيارة وأخذنا نثب من صخرة الى صخرة لنبلغ القمة حيث يقوم النصب التذكاري « لرودس » .

وفجأة كففنا عن المسير ، ووقف الكولونيل ريس في مواجهتي ، وسألني :

– مس آن بيدنجفيلد . ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟

– نورية تطوف بارجاء العالم .

– إني لا أصدق هذا .. حكاية انك مندوبة صحيفة مجرد ذريعة للتمويه .. ما هي حقيقة مهمتك ؟

وأشحت بوجهي قليلاً حتى لا تتلاقى عيناي بعينيه وقلت له :

– كولونيل ريس .. هل لك ان تصارحني بما اتيت أنت تفعله في هذه البلاد ؟

فأجاب في بساطة :

– أتيت سعياً وراء المجد والطموح .

– إنهم يقولون إنك تعمل في المخابرات ، فهل هذا صحيح ؟

– أحب أن أؤكد لك يا مس آن انني أتيت إلى هذه البلاد كفرد عادي لا شأن له بأي عمل رسمي .

وعدنا إلى السيارة بعد ان شاهدنا مقبرة رودس ، وفي طريق العودة مررنا بأحد المطاعم ، فاقترح ريس ان نتناول قدحاً من الشاي مع شيء من الفطائر .

وفوجئت بأن احتشدت حولنا مجموعة من القطط الجائعة ، وهي تموء بشدة وترنو الينا بأنظارها . فرميت اليها بعض قطع من الفطيرة ، فالتهمتها بسرعة .

ومضى الكولونيل ريس الى صاحب المطعم ثم عاد يحمل اليها صحناً من اللبن والخبز ، فتهافتت عليه .

وفي السيارة قال لي :

- آن . إنني في حاجة اليك .. هل تتزوجينني ؟

وكانت كلماته مفاجأة أذهلتني .

وأجبت متلعثمة : كلا .. كلا .. لا أستطيع .

- وما السبب ؟

وأردت ان أكون صريحة لا أكتم دونه شيئاً فقلت :

- هناك شخص آخر

فهز رأسه وغمغم :

- فهمت .. وهل كان هذا الشخص موجوداً في حياتك قبل أن تستقلي الباخرة ؟

- كلا .. لقد حدث ذلك بعد ركوبي الباخرة .

وقال في صوت مختنق : فهمت .. الآن عرفت ما يجب علي أن أفعله .

- ماذا تعني ؟

- لا شيء .. لا شيء !

وسادنا الصمت بعد هذا ، فلم نتبادل كلمة واحدة طوال رحلة العودة الى الفندق .

* * *

وما ان دخلت على سوزان غرفتها في الفندق حتى ارتميت على صدرها ، وانفجرت أبكي في مرارة .

وراحت تسألني عما ألم بي ، فحدثتها عن القطط التي تموء جوعاً ، ولكن حديثي لم يخدعها ، وقد سألتني :

- وهل هذه القطط ، هي سبب هـذه الرعشة ، التي تهز بدنك هزاً عنيفـاً ؟..

- إن أعصابي منهارة .. الوساوس تملأ صدري وأشعر كأن كارثة رهيبة توشك ان تنزل بي .

- دعك من هذه الأوهام يا آن ، ودعينا نتحدث عن شيء طريف مبهج.. فلنتحدث عن الماسات مثلاً .

فتساءلت : وماذا عنها ؟

- أعتقد ان احتفاظي بها ليس من الحكمة في شيء ، فالناس يعرفون مدى الصداقة التي بيننـا ، وليس أهون عندهم من ان يعتقـدوا إنني أنا التي أحتفظ بها لدي .

- ولكن لا يمكن ان يتطرق إلى ظنهم انها مخبأة داخل لفافة فيلم .

- فلندع الأمر الآن .

وانتهينا إلى مدينة الشلالات ، وذهبنا إلى الفندق واغتسلنا .

وبعد تناول الشاي ركبنا الترولي ، وأخذت جماعة من الزنوج تدفعه صوب الجسر الذي يفضي إلى الشلالات .

كان المشهد رائعاً : الهوة عميقة لا قرار لها ، والمياه المتدفقة من أسفلها ، وغلالة الرشاش المتناثر ، ومجرى النهر وهو يتدفق بسرعة مخيفة ويتكسر على الصخور الهائلة

وعبرنا الجسر ، ثم مشينا على الطريق الضيق الذي تحفه الصخور البيضـاء من جانبيه ، والذي يدور حول مجرى الشلال حتى ينتهي إلى الساحة الشاسعة التي تطل على الهوة العميقة .

وقال الكولونيل ريس : أتريدون ان تهبطوا إلى أخدود النخيـل ؟ أم تريدون ان ترجئوا الأمر إلى الغد ؟. قد يكون الهبوط هيناً ميسوراً ، أمـا الصعود فمتعب شاق .

وآثرنا ان نرجيء هذه الرحلة إلى الصباح .

وقال الكولونيل ريس . أتحبون أن تشاهدوا الغابة التي تتناثر فوقها مياه الشلال ؟

وأخيراً عدنا الى الفندق فتعشينا ، ثم أوينا إلى مخادعنا ، ولكن النوم جافاني ، وسمعت نقرات على باب غرفتي ، ودخل أحد سعاة الفندق يحمل إلي رسالة مطوية . وكان هذا نصها :

« يجب ان أراك .. لا أستطيع طبعاً ان أظهر في الفندق . هل لك ان تقابليني في ساحة الشلال المجاور لأخدود النخيل . إحياء لذكرى المقصورة رقم ١٧ ، أرجوك أن تلبي رجائي – الشخص الذي عرفته باسم هاري رايبورن » .

* * *

إذاً فرايبورن هنا في مدينة الشلالات ، يتوارى فيها عن أنظار رجال الشرطة الذين يطاردونه .

ولم أتردد لحظة واحدة ، وأسرعت أتسلل من غرفتي ، ومررت بغرفة سير أوستاس وسمعته يملي خطاباً على سكرتيرته مس بيتجرو ، أما الكولونيل ريس فلم يكن لا في غرفته ولا في قاعة الجلوس .

وتسللت خارجة من الفندق دون ان يشعر بي أحد وتابعت طريقي الى الساحة المشرفة على الهوة وأخدود النخيل .

مشيت ست خطوات ، ثم توقفت ، وتسمرت مكاني .

لقد سمعت خشخشة ورائي ..

وتقدمت خطوة اخرى ، وسمعت نفس الخشخشة .

ثم رأيت شبح رجل يبرز فجأة في أحشاء الظلام ، ويقفز في الهواء محاولاً

أن ينقض علي

كان الظلام دامساً فلم أتبين وجهه ، وكان كل ما أيقنت منه انه مديد القامة يرتدي ثياباً أوروبية .

وانطلقت أركض وهو في أعقابي . وفجأة شعرت انني أخطو في الفضاء ، وان قدمي لم تستقر على اديم الأرض .

ومن ورائي سمعت الرجل يطلق ضحكة داوية .

كانت ضحكة رهيبة .. ضحكة شريرة شيطانية .

وبدأت أهوى إلى أسفل .. الى أسفل .. الى اسفل .. وصدى الضحكة الشيطانية يسك سمعي .

الفصل الثالث والعشرون

أخذت أستفيق من الاغماء في بطء وألم .

شعرت برأسي تطن وتدق ، وعندما حاولت ان أحرك ذراعي الأيسر سرى فيه ألم حاد .

ثم أخذ النوم يراودني مضطرباً ، حتى غلبني النعاس أخيراً .

وصحوت مرة أخرى وقد انجاب الكابوس عن رأسي ، وتجلت الصور الباهتة المتداخلة ، وذكرت كل ما حدث . تلقيت رسالة هاري ، وأسرعت إلى لقائه في ساحة الشلالات ، ثم ذلك الشبح الذي برز إلي من أحشاء الظلام .. وركضت هاربة . ثم إذا بقدمي تخطو إلى الفضاء ، وأتردى في الهاوية .

وخيل إلي لأول وهلة انني وحدي في هذه الغرفة ، ولكنني ما لبثت أن أدركت ان هناك إنساناً يجلس على مقعد بين سريري وبين الباب ، ولكن صاحب الوجه وقد رآني اتحرك ، نهض واقفاً واقترب مني ومال فوق وجهي يتطلع إلي .

وسألني : كيف حالك الآن ! هل انت بخير ؟

وعرفته على الفور . إنه هاري رايبورن !.

وعجزت عن النطق ، وقد أخذت الدموع تنساب على وجهي .

وهمس في صوت رقيق حان .

– لا تبكي يا آن . . إنك الآن في أمان .

ثم مضى عني وعاد يحمل إلي قدحاً من اللبن .

وقال : لا توجهي إلي الآن اي سؤال ، بل نامي واستريحي . . وفيما بعد سوف نتحدث طويلاً .

وأخذ بيدي بين راحتيه وهمس :

– أغمضي عينيك . . نامي .

وأطبقت عيني ، وهدأت أنفاسي وانتظمت ، وما لبثت أن غرقت في النوم .

وحين صحوت كان المساء قد هبط .

ورأيت إمرأة عجوزاً سوداء الوجه ، تجلس بالقرب مني وتبتسم في وجهي في حنان .

ثم شعرت بخطوات تقترب ، وجاء هاري الى الغرفة ، وانسحبت المرأة

وسألني : يبدو انك استمدت قوتك الآن ؟

– إنني طبعاً أحسن حالاً ، ولكن أين انا ؟

– إنك في جزيرة صغيرة في نهر الزمبيزي ، تبعد أربعة أميال عن مدينة الشلالات .

– وهل يعرف أصدقائي انني هنا ؟

فهز رأسه نفياً وأردف : يحسن بك ان لا تبعثي اليهم بكلمة إلا بعد ان تستعيدي قوتك .

– كم مضى علي هنا ؟

وأدهشتني إجابته ، إذ قال : شهر تقريباً . . ولكن من هم أصدقاؤك هؤلاء ؟ . .

– سوزان .. أعني ليدي بلير وسير اوستاس بيدلر والكولونيل ريس .. ولكن كيف أنقذتني ؟ كيف عثرت علي ؟

– معلقة فوق شجرة تشرف على الهاوية وثيابك مشتبكة بالأغصان. ولولا اني مررت صدفة بهذا المكان لكان من الممكن ..

– صدفة ؟ والرسالة التي بعثت بها إلي ؟

– اني لم أبعث اليك بأي رسالة . إنها مزيفة .

فعدت أسأله :

– ولكن ما الذي اتى بك الى هذه الجزيرة المنعزلة ؟

– لأن فيها مسكني .. إنني أقيم هنـا منذ وضعت الحرب أوزارهـا . وكنت أتجول بالقرب من الشلالات ، فسمعتك تصرخين ، ورأيتك معلقـة على الشجرة

وعدت أسأله :

– ولكن لماذا لم تخطر اصدقائي بأنك عثرت علي .

فسكت هنيهة ثم قال :

– يبدو لي يا مس آن إنك لا تدركين مدى الأخطار المحدقة بك . إن الذي استدرجك الى الموت بهذه الرسالة المزيفة شخص يعيش في الفندق .. بالقرب منك .. ومن المحتمل جداً ان يكون عدوك واحداً من هؤلاء الأصدقاء المزعومين . فكيف بعد هذا أخطرهم بوجودك ؟

– حسناً .. لا داعي إذاً لإخطارهم ، ولن أحاول ان أتصل بهم .

– أتريدين ان أسدي اليك نصيحة ؟

– إني مصغية اليك

– نصيحتي اليك ان « تتظاهري » بأنك مفقـودة .. أعني لا داعي لأن تتصلي بأصدقائك .. دعيهم يعتقدون انك مت

واستطرد وعندما تستردين قواك سافري إلى بييرا واستقلي الباخرة من

هناك وعودي الى انجلترا .

وقلت في ازدراء : ألا يكون هذا التصرف مني جبناً وخوراً ؟

– إنك تتكلمين كالطفلة الصغيرة الساذجة .

وقلت في غضب : إنني لست طفلة صغيرة !.. إنني إمرأة .. إمرأة ناضجة !..

فتأملني بنظرة فاحصة ، وغمغم بصوت خافت :

– إنك والحق إمرأة ناضجة ، وكان الله في عوني

ثم انبعث واقفاً واستدار فجأة وغادر الكوخ .

* * *

يوماً بعد يوم بدأت أتماثل للشفاء وأسترد قواي .

وتتابعت الأيام ونحن نعيش معاً ، ونتناول الطعام معاً ، ونتناقش ونختلف ونتشاجر احياناً

وكنت أعلم ان يوم الرحيل سوف يحل عاجلا .

وذات يوم كنت جالسة عند باب الكوخ وشعري الطويل منسدل على كتفي ومنكبي ، إذ لم يكن لدي دبابيس او مشابك اثبته بها .

وفطنت فجأة إلى انه كان يتأملني بنظرة حالمة . وقال :

– أتعلمين يا آن انك تشبهين بهذا الشعر الطويل المنسدل حورية خرجت فجأة من أعماق البحر .

وبسط إلي يده ولمس شعري، وجرت أنامله على جدائلي، فسرت في أوصالي رجفة هزت بدني . ثم اذا به ينبعث واقفاً وهو يسب ويلعن :

– إسمعي .. يجب ان تسافري غداً .. إني لم أعد احتمل بقاءك هنا يوماً واحداً ! انني لست الا مجرد بشر . نعم . يجب ان ترحلي يا آن .

– أعرف ذلك .. ولكنك كنت سعيداً ، اليس كذلك ؟

– بل كنت أعيش في جحيم .. بالله عليك ، لماذا تعذبينني ؟.. لمـــاذا تسخرين مني ؟ .

– إني لا أسخر منك . اذا كنت تريد مني ان أبقى . فسوف أبقى . يكفي ان تأمرني .

– آن .. لا تحاولي ان تستفزيني !. هذه حال لا تطاق !. ثم هل تدركين من أنا ؟. إنني مجرم يطاردني جميع رجال الشرطة . إنني رجل هارب مطارد لا يستقر في مكان واحد .. اما انت ففتاة جميلة .. أمامك الحب والشباب ، وفي يوم ما سوف تتزوجين ، وتصبحين من أسعد النساء .. نعم . يجب أن أنقذك من نفسي ومن نفسك .. غداً يجب ان تسافري .. بل الليلة ان أمكن . لم أعد أطيق ان ابقى معك تحت سقف واحد ساعة واحدة .

الفصل الرابع والعشرون

كان هاري رايبورن يرتجف انفعالاً وهو يردد هذه الكلمات
وقلت : وهبني رحلت فما يكون من شأنك ؟

– سأبقى هنا حتى أنتقم لك .. وحين اعرف اسم من حاول ان يقتلك سوف أدق عنقه وأقذف به الى هوة الشلال كما اراد ان يفعل بك .

– يجب ان لا تظلمه يا هاري . انني أخطأت الطريق فمشيت في اتجاه الهاوية

– إنك واهمة في هذا يا آن ، وقد ذهبت الى نفس الموضع وتبينت خطته الجهنمية ..

انك تعلمين ان هناك ممراً ضيقاً على رأس الهوة تحفه صخور بيضاء تظل واضحة حتى في الليل ، لكيلا تضل خطى السائر ويتخطاها الى الهاوية ، ولكن هذا القاتل الشيطاني نقل الصخور البيضاء بحيث جعلها تتجه مباشرة الى قاع الهاوية

وبذلك كنت تسيرين بين الصخور البيضاء ، متجهة الى حتفك ، وانت لا تعلمين .

اذاً فهي نية مبيتة لقتلي ؟.

– تماماً . لقد أرادوا ان يقتلوك لأنهم يعتقدون انك تعرفين اكثر

مما ينبغي .

ثم أردف : واظن ان من حقك الآن ان تعرفي قصة حياتي .

* * *

وأنشأ هاري رايبورن يروي لي تاريخ حياته .

انني ادعى هاري لوكاس ، اما هاري رايبورن فاسم مستعار مزيف . وفي الجامعة التقيت بزميلي جون إيرديسلي، وهو ابن المليونير ايرديسلي صاحب مناجم الذهب .

وكان جون شاباً متلافاً مولعاً بالقمار ، وطالما تورط في العديد من الفضائح ، فيغرق نفسه في الديون ، او يصدر شيكات بغير رصيد ، فيبادر أبوه الى سداد ديونه ، وينقذه من مخازيه . وضاق الأب يوماً بفعال ابنه فطرده من بيته .

وضاقت سبل العيش في وجه الابن ، فتخلى عن الدراسة في كامبريدج ، ورحل الى امريكا الجنوبية ، ولما كانت اواصر الصداقة بيننا وثيقة متينة ، فقد حذوت حذوه ، وصحبته في رحلته ، وعشنا سوية في تلك البلاد نعاني شظف العيش . واخيراً حالفنا الحظ ، فعثرنا على منجم الماس في غينيا البريطانية ، وادركنا ان أبواب الثراء قد فتحت .

وأخذنا بعض عينات من الماس ، وسافرنا إلى كمبرلي ، لنعرضها على الخبراء لفحصها حتى يتبينوا مستواها . وهناك في كمبرلي التقينا بها في الفندق ..

وأمسك هاري فجأة عن الكلام ، وتقلصت عضلات وجهه وتقبضت أصابعه في ثورة وانفعال ، ثم استطرد :

كانت هذه المرأة تدعى أنيتا جرونبرج .. هذا هو اسمها الحقيقي ، وكانت

ممثلة ، وعلى غاية من الجمال والشباب الثائر المتدفق .

وكانت تحيط بأنيتا هالة من الغموض ضاعفت فتنتها في نظر هذين الشابين اللذين جاءا من أعماق الأدغال .

وهكذا وقعنا نحن الاثنين — أنا وجون - في هواها ، وأدارت رأسينا ، ومع ذلك لشدة إخلاصنا المتبادل كان كل منا على استعداد لأن يسحق قلبه ، وأن يتخلى عنها للآخر الذي تختاره زوجاً لها .

ولكن أنيتا كانت تبيت خطة أخرى خبيثة . لم تكن تحب أياً منا ، ولم تكن تنوي ان تقترن بأحدنا ، إذ كانت متزوجة فعلاً من رجل يشتغل بصقل الماس ، ويعمل في شركة دي بيرس ، وإن كانت قد كتمت عنا نبأ زواجها لغرض في نفسها .

وكنا طبعاً لفرط حبنا لها وافتتاننا بها ، قد أفضينا اليها بخبر المنجم الذي عثرنا عليه .

وهكذا اتفقت أنيتا مع زوجها — ويدعى كارتون — وبمساعدته واشتراكه وقعت في كمبرلي سرقة كبيرة واختفى جزء من الماس كانت شركة دى بيرس قد سلمته الى البنط لإرسالة الى انجلترا .

واتجهت الشبهات الى هذين الشابين المغامرين اللذين قدما من غينيا البريطانية ، والقى البوليس القبض علينا ، وفتشت أمتعتنا ، وعثروا فيها على حفنة من الماس ، وقلنا إنها عينات جئنا بها من منجمنا في غينيا ، وفحصها الخبراء فاذا بها نفسها هي جزء من تلك الماسات المسروقة من شركة دى بيرس .

وكانت انيتا قد اختفت في ذلك الوقت ، فانكشف لنا سر المكيدة ، وأدركنا أنها سرقت العينات وهربت بها ، بعد ان وضعت مكانها جزءاً من الماس المسروق .

وتدخل سير ايرديسلي في الأمر ، ودفع ثمن الماس المسروق الذي قدر بحوالي ربع مليون جنيه ، وهكذا سحب دى بيرس شكواه وحفظت الدعوى

ضدنا ، وأعلنت الحرب عندئذ فتطوعنا في الجيش ، ومات صديقي جون أثناء القتال ، إذ كان يلقي بنفسه في مغامرات حمقاء كأنما يسعى إلى الانتحار . أما أنا فأصبت بجرح وأواني احد المواطنين في داره حتى شفيت ، ولذلك أعلن الجيش انني في عداد المفقودين

وسكت هاري هنيهة ثم استتلى يقول :

وأقسم لك يا آن انني حقدت على هذه المرأة حقداً شديداً .. تلك المرأة التي لوثت اسمينا، وكانت سبباً في مصرع زميلي، وموت أبيه بعد هذه الفضيحة المدوية ، إذ لم يحتمل الأب المسكين ان تعرف الدنيا ان ابنه لص مغامر .

ولجأت الى هذه البلاد لأنها موطني الأصلي،وعشت في هذه الجزيرة الصغيرة المعزولة ، واشتريت قارباً أنقل فيه الناس عبر الشلالات ليشاهدوا معالمها .

ثم وقع شيء أهاج في نفسي مكامن الذكريات الراكدة . حدث يوماً وأنا أنقل جماعة من الناس في قاربي ان مددت يدي أساعد رجلاً على الصعود إلى القارب ، فما ان وقعت أنظاره علي حتى أطلق صيحة دهشة وذهول ، وباتت في وجهه أمارات الخوف الشديد، ولكنني تظاهرت بأني لم أفطن الى ما حدث، وظل الرجل طوال الرحلة يختلس الى وجهي نظرات مذعورة

فلما غادر قاربي تحريت عنه ، وعلمت انه يدعى كارتون ، وانه قادم من كمبرلي حيث يعمل في صقل الماس في شركة دي بيرس .

وخطر لي انه لا بد كان مشتركاً في تلك السرقة الكبيرة التي وقعت في كمبرلي ، والتي الصقت تهمة ارتكابها بي وبصديقي جون ايرديسلي .

ولم أتردد لحظة واحدة ، فسافرت الى كمبرلي لأجمع مزيداً من المعلومات ، ورأيت ان خير وسيلة لذلك هي ان أواجه الرجل مباشرة وأصوب اليه مسدسي وأنتزع منه المعلومات التي أبتغيها .

وذهبت اليه ليلاً في بيته ، وشهرت مسدسي في وجهه ، وطلبت اليه ان يتكلم .

واعترف لي ان أنيتا جرونبرج زوجته ، وأنها دبر السرقة معاً ، ولكن « الكولونيل » هو الذي وضع الخطة بحيث يتخذ مني ومن صديقي جون « كبش الفداء » فيوجه الاتهام الينا نحن الاثنين دون ان يتطرق الشك إلى المتآمرين الذين سرقوا فعلا ماسات دي بيرس .

وسألته عن اسم « الكولونيل » فأكد لي انه لا يعرفه ، وطلبت منه أن يصفه لي فأقسم انه لم يره في حياته . وعدت اهدده بمسدسي ، وأنذرته بأني سأطلق عليه النار ، لأن المصير الذي ينتظرني لا يخيفني ما دمت أعيش في عزلة عن الناس مجللا بالعار

وبدأ كارتون يدلي إلي بما كان يخفي من معلومات .

قال ان زوجته أنيتا لم تكن تثق بالكولونيل ، وكانت تعرف انه شخص غادر يبطش بأعوانه بعد ان يستغلهم ، وبعد ان يصبحوا عديمي الجدوى لا ينفعونه بشيء . ولذلك آثرت أن تحتفظ لديها بشيء تهدده به حين ترى منه بوادر الغدر والخيانة ، ولذلك لم تسلمه جميع عينات الماس التي سرقتها منا ، وإنما احتفظت لديها بجزء منها لتكون سلاحاً في يدها تشهره في وجهه إن آنست منه ما يخيفها ، فان هذه الماسات هي التي يمكن ان تبرهن بها على براءتي وبراءة جون ، وإن السارق الحقيقي هو « الكولونيل » .

واستطرد هاري يتم القصة :

وقال لي كارتون أن زوجته أنيتا سافرت بعد السرقة إلى اوروبا ، واحترفت الرقص ، واتخذت لنفسها اسم « نادينا » الراقصة الروسية الشهيرة ، وعملت في باريس خلال الحرب ، واشتغلت بالجاسوسية واللصوصية والتزوير تحت إمرة « الكولونيل » وبتوجيهه . واختتم كارتون حديثه بأن قال أن زوجته كتبت اليه بأنها ستطلب من « الكولونيل » قدراً كبيراً من المال لتسلمه عينات الماس الخاصة بي ، وإلا وشت به إلى دي بيرس ، وعندها سيعرف سر السرقة التي وقعت في شركته ، فيجر الكولونيل إلى غياهب السجون .

وعلمت بعد ذلك ان كارتون أخذ إجازة طويلة من عمله، وأنه حجز لنفسه مكاناً على الباخرة « قصر كيلموردن » المسافرة إلى انجلترا ، فما كان مني إلا أن حجزت لنفسي تذكرة على نفس الباخرة، بعد أن تنكرت في صورة رجل كهل ذى لحية سرى فيها الشيب .

وفي لندن تعقبت كارتون دون ان يشعر بي، ورأيته يدخل إلى مكتب أحد سماسرة العقارات ، ويطلب تصريحاً بمشاهدة بيت في مارلو معروض للايجار ، فقد دخلت الى المكتب في أعقابه وسمعت شطراً من حديثه ، وحذوت حذوه وبدأت أستعلم عن البيوت المعروضة للايجار . وفيما انا أفعل ذلك إذا بزوجته نادينا تدخل المكتب لتستعلم بدورها عن المنازل الخالية ، ولكنها لم تعرفني بسبب تنكري . وسمعتها تطلب تصريحاً بزيارة بيت سير اوستاس بيدلر في مارلو المعروف باسم « فيلا الطاحونة » ، أي نفس البيت الذى طلب زوجها ان يشاهده . وأدركت على الفور أنهما سيتقابلان هناك ، وان المقابلة بينهما ستجري بهذه الطريقة حتى يبدو وكأن الأمر جاء صدفة فلا يثيران شكوك الكولونيل وأعوانه .

وساءلت نفسي لماذا اختارا بيت سير أوستاس بالذات دون سائر البيوت؟ . لقد كنت أعلم انه كان موجوداً في جنوب افريقيا عند وقوع حادث السرقة ، ولذلك خطر لي ان من المحتمل جداً ان يكون سير اوستاس هو ذلك «الكولونيل» الغامض الخفي

وخرجت مسرعاً من مكتب السماسرة وتعقبت كارتون حتى رأيته ينزل إلى نفق القطارات الكهربائية، فدخلت وراءه ولكنه ما كاد يراني حتى بوغت مباغتة ، فقد كان يعتقد انني في جنوب افريقيا ، فاذا بي منتصب أمامه في قلب لندن !.

وحدث عندئذ ما تعرفينه انت يا آن ، فقد اختل توازنه لهول المفاجأة ، وسقط فوق القضبان المكهربة فصعقته ومات لساعته . ولما نقلوه إلى الرصيف

تقدمت أفحصه مدعياً انني طبيب ، إذ كنت أعتقد ان الماسات التي تخصني في جيبه ، ولكنني لم أجد إلا لفافة وقصاصة من الورق دون عليها موعد في اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير في الباخرة « قصر كيلموردن » . وعند مغادرتي المحطة وقعت الورقة من يدي والتقطتها انت ، فكانت هذه القصاصة هي بداية مغامرتك كما ذكرت لي

واستطرد هاري يقول :

وتبعت نادينا إلى الفندق ورأيتها تتغدى ، ثم تعقبتها إلى فيلا الطاحونة في مارلو ، وزعمت لحارسة البيت انني صديق لها جئت معها ولكنني تخلفت عنها في مكتب البريد بضع دقائق لأبعث ببرقية .

على انني ما كدت أدخل الى الفيلا حتى رأيت نادينا امامي مسجاة على الأرض جثة هامدة .

وأسرعت بالفرار ، ولكن اوصافي عرفت ، وجد رجال الشرطة في البحث عني ، وهكذا نجح « الكولونيل » مرة أخرى في ان يلصق بي تهمة أنه بريء منها .

وبقيت بضعة أيام مختفياً متوارياً عن الأنظار ، واتفق في خلال ذلك أن سمعت طرفاً من حديث يدور بين أحد رجال وزارة الخارجية وسير اوستاس بيدلر وعرفت من هذا الحديث انه مسافر إلى جنوب أفريقيا ، فذهبت إلى منزله ، وزعمت عنده انني موفد اليه من وزارة الخارجية لأصحبه في رحلته بصفتي سكرتيراً له ، فجازت عليه خدعتي وصحبني معه ، وبذلك تسنى لي أن أغادر انجلترا آمناً مطمئناً مستظلاً بحمايته ، دون ان يخطر ببال أحد أنني « الرجل ذو السترة الرمادية » الذي يجد جميع رجال الشرطة في أثره .

وقاطعته بقولي : هل عرفت يا ترى ان جاي باجيت كان موجوداً في مارلو يوم وقوع الجريمة ؟.

فأجاب هاري : كلا .. فقد كنت أعلم انه في « كان » بصحبة مولاه

سير أوستاس .

– لقد كان المفروض انه في « فلورنسا » في مهمة ما ، ولكنني متأكدة انه كان في مارلو .

وقال هاري : الأمر واضح إذاً .. لقد اختاروا فيلا الطاحونة مكاناً للمقابلة ، لأن باجيت يستطيع ان يتردد عليها في أى وقت دون ان يثير وجوده الشبهات .

واردف هارى وفي صوته نبرة من اليأس :

– وهكذا آلت جهودى كلها إلى الفشل .. لقد كنت اسعى إلى الاستيلاء على ماساتي التي سرقت مني ، ولكن الوحيدين اللذين يعرفان مكانها قضيا نحبهما ، فكارتون صعقته القضبان المكهربة ، وناديننا خنقت في فيلا الطاحونة .

الفصل الخامس والعشرون

حين فرغ هاري من قصته قلت له :

– والآن أظن انه يحسن بك ان تصغي إلى روايتي . ورويت له جميع الاحداث التي سبق أن عرفها القارىء حتى الآن .

وكان الذي أدهشه أن يعرف ان الماسات التي كان يلهث وراءها كانت في حوزتي ، أو بعبارة أدق في حوزة سوزان .

وبدا عند هذا ان من الهين تبرئة هاري من التهمة الخاصة بسرقة الماس ، ولكن الشيء الذي بدا مستحيلاً هو تبرئته من تهمة قتل الراقصة نادينا .

ومن جديد عاد السؤال يتردد بيننا : من هو « الكولونيل » ؟ أيمكن أن يكون جاي باجيت ؟.

وقال هاري : كان يمكن ان أقطع بأن باجيت هو الكولونيل لو لا شيء واحد .. أن الذي يبدو مؤكداً حتى الآن هو ان باجيت هو الذي قتل نادينا في فيللا الطاحونة ، فان انذارها بالوشاية بالزعيم مشكلة لا يمكن أن يحلها إلا الزعيم نفسه ، فلا بد إذن ان يكون هو الذي تواعد معها على اللقاء في الفيللا ، ليناقش الأمر معها بنفسه ، وعندئذ قتلها .

ولكن الشيء الذي يضعف من هذا الفرض هو محاولة اغتيالك في أول ليلة وصلت فيها إلى هذه البـــلاد .. انك رأيت بنفسك باجيت يتخلف في كيب تاون في وقت واحد ؟..

كما أن من المستحيل أن يبعث خطاباً إلى أحد اعوانه يأمره بقتلك لأن الخطاب لن يصل أيضاً إلا يوم الاربعاء القادم ..

بقيت وسيلة واحدة هي ان يبرق إلى مساعده ، وواضح انه لا يمكن ان يضمن البرقيــة امراً بالقتل . ولهذا فانني استبعد ان يكون باجيت هو الكولونيل .

وسادنا الصمت برهة ثم قال هاري :

ـ انك ذكرت لي انك عند مغادرتك الفندق إلى الشلالات كانت ليـدي بلير نائمة في غرفتها ، وكان سير اوستاس بيدلر في جناحه يملي بعض الخطابات على سكرتيرته مس بيتجرو وهما يتبـادلان الحديث . فاين كان الكولونيل ريس ؟ ..

ـ انه لم يكن في غرفته .

ـ هل يعتقد اننا ، انت وأنا ، على صلات طيبة .

ـ هذا ما أظنه .. ولكنني استبعد ان يكون الكولونيل ريس هو زعيم تلك المنظمة الارهابية الملقب « بالكولونيل » ، فانه من رجال المخابرات .

فضحك هاري في سخرية وقال :

ـ وانى لك أن تعرفي هذا على وجه اليقين ؟ . لعله هو نفسه الذي بذر بذور هذه الاشاعة ليغطي بها تحركاته الملتوية وتنقله بين مختلف البلاد ، وكذلك ليدرأ عن نفسه الشبهات ان خطر لأحد انه « الكولونيل » .

واستطرد هاري : ولا تنسي انه كان موجوداً في جنوب افريقيـــا عند وقوع حادث سرقة الماسات .

فتساءلت : إذن فما هو موقف باجيت ؟ .. أهو من أعوان الكولونيل ؟ ..

ـ محتمل .. وغير محتمل .. هل حدثك باجيت بنفسه عن عينه المتورمة وعن تلك الليلة التي حاول فيها أحدهم أن يلقي بك إلى البحر من فوق سياج الباخرة قصر كيلموردن ؟ ..

– كلا . لقد كان سير اوستاس بيدلر هو الذي روى لي هذه القصة . لقد قال لي ان باجيت رأى شبح شخص في منتصف الليل يأتي من ناحية مقصورة سير اوستاس ، فتعقبه الى سطح الباخرة ، فما كان من الشبح إلا ان لكمه وطرحه أرضاً ، وباجيت يعتقد ان من هاجمه هو الكولونيل ريس .

فقال هاري :

– والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الرواية ، هو ان الكولونيل ريس هو الذي حاول أن يلقي بك إلى البحر ، فلما فشل دار حول سطح الباخرة ، والتقى بباجيت فصرعه أرضاً ، ثم جاء اليك يزعم ان باجيت هو الذي حاول ان يقتلك .

وقلت معترضة :

– ولكن باجيت يؤكد انك أنت الذي اعتديت عليه ، وليس الكولونيل ريس .

– تعليل هذا الادعاء بسيط . لنفرض انه عندما أفاق من إغمائه لمحني أسير في أقصى الممشى ، فمن الطبيعي أن يقع في روعه انني أنا الذي اعتديت عليه .

وقلت : هذا محتمل .. ولكن ، هناك أشياء أخرى ، تحتاج إلى تفسير .

– لعلك تعنين ان الشخص الذي كان يتعقبك في كيب تاون خرج فجأة من مشرب الشاي ، ووقف يتحدث الى باجيت ، وان باجيت تطلع في ساعته قبل ان يتابع طريقه . إنك اعتقدت عندئذ ان مطاردك تلقى أمراً من باجيت بأن يستدعي الشرطي ، ويتهمك بنشل حافظة نقوده . فلم لا يكون هذا اللقاء متعمداً لإلقاء الشبهات على باجيت ، وأن مطاردك لم يتلق منه أية تعليمات ، وان كل ما فعله هو انه سأل باجيت عن الوقت

ولذلك تطلع في ساعته .

– إذاً فأنت تعتقد ان باجيت بريء ، وان هناك من يحاول ان يدمغه بالشبهات ؟..

– لا أستطيع ان أدلي بجواب قاطع ، إلا إذا عرفت أولاً ما الذي كان يفعله في مارلو يوم مصرع الراقصة نادينا ، فان قدم تفسيراً معقولاً فهو بريء من قتلها .

ونهض هاري واقفاً وهو يقول :

– والآن إذهبي إلى فراشك يا آن ، وغداً تستيقظين مبكراً لتشرعي في رحلة العودة إلى انجلترا .

ولم يكن في نيتي أبداً ان أهرب من الميدان ، ولكني لم أشأ ان أناقشه الأمر إذ ذاك .

وأيقظني في الصباح قبل ان تشرق الشمس وقال :

– هيا استعدي.. سندع القارب البخاري حتى لا ينبه دوي محركه الناس ، وإنما سنستقل القارب الصغير فانه ..

ولكنه أمسك لا يتم عبارته وهمس :

– أنصتي .. ما هذا ؟

وأرهفنا السمع معاً .. كان هناك صوت مجاذيف تضرب الماء .

وخرجنا الى باب الكوخ وحدقنا في الظلام ، ولمحنا قارباً يدنو من الشاطىء ، فسحبني من ذراعي وهو يقول :

– فلنعد إلى الكوخ .. يبدو ان « أصحابنا » اكتشفوا مخبأك .

وأوصد باب الكوخ ونافذته ، وانتزع مسدساً وبندقيتين من فوق الجدار ، وجاء بصندوق مليء بالرصاص ، وأراني كيف أحشو البندقية ، ووقف متربصاً عند النافذة يرقب ما سوف يحدث .

وسمعنا خشخشة الأعشاب وأوراق الشجر ووقع أقدام تقترب .

ورأيت الهولندي الملتحي على رأس جماعة من الرجال — ذلك الهولندي الذي انتحل صفة أمين المتحف ، ودعاني إلى زيارته ، ثم اعتقلني .

وصاح هاري من وراء النافذة :

— من هناك ؟. من القادم ؟.

وكان الرد الذي تلقيناه سيلاً من الطلقات النارية انصبت على نافذة الكوخ وجدرانه .

وصوب هاري بندقيته ، وأحكم الهدف ، ثم أطلق النار ، وطاشت الرصاصة الأولى ، ولكننا سمعنا صرخة داوية عقب الرصاصة الثانية .

وتوالى تبادل الطلقات ، وكلما فرغت بندقيته ناولته البندقية الثانية بعد ان أحشوها . وسمعنا صرخة ثانية ، ثم كف أعداؤنا عن إطلاق النار .

واختلس هاري نظرة من النافذة وقال :

— إنهم ينسحبون . ولكنني أعرف انهم سيعودون ، وفي هذه المرة سيعودون في جمع كبير يحاصر الكوخ من جميع الجهات ، فعلينا أن نبادر بالهرب قبل أن يعودوا .

وأخذ هاري من أحد الأركان صفيحة ملآى بالبترول ، وصبها في أنحاء الكوخ وفوق سطحه .

وما كدنا نبتعد خطوات حتى رأينا جمعاً كبيراً يقترب من الكوخ ، وهم يطلقون النار ، وفي نفس اللحظة اندلعت النيران في الكوخ بسبب الطلقات النارية التي أشعلت البترول ، وأخذنا نجري بكل قوتنا هاربين .

ولمحت وانا التفت الى الوراء شبح شخصين فوق سطح الكوخ وقد أمسكت النار بثيابهما .

وأمسكت بذراع هاري قائلة له في ذعر :

— أنظر !. فوق سطح الكوخ شخصان يحترقان .

فضحك قائلا : لا عليك من هذا .. أطمئني .. إنها مجرد ثيـــاب حشوتها بالوسائد والخرق البالية وجعلتها على شكل إنسان حتى يعتقد أعداؤنا أننـــا احترقنا مع الكوخ فيكفوا عن مطاردتنا .

* * *

كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ونحن نضرب في الأحراش والمستنقعـات ، ونغوص في الطين والأوحال ، وإذا ما أدركني التعب حملني هاري على كتفه كأنني طفلة صغيرة ، حتى انتهيا الى صديقه نيدفي ليفنجستون ، وقد طلع نور الصباح وغمر الأرض بضيائه .

وقدم الينا نيد طعاما شهيا وأقداح القهوة الساخنـــة ، ثم أوفده هاري يستفسر عن جماعة سير اوستاس بيدلر، وهل ما زالوا في الفندق أم رحلوا عنه، وحذره من ان يشير إلى اسمي بكلمة واحدة .

وعندئذ صارحت هاري بما في نفسي، وإنني لا أنوي ان أعود إلى انجلترا، وبعد نقاش ولجاج وافق على ان أبقى مختبئة في بيت صديقه فترة وجيزة بعد رحيله ، ثم ألحق بصديقتي سوزان حيثما تكون ، وأبقى في صحبتها في انتظار تعليماته ، وأن نبادر بايداع الماس في إحدى خزائن البنك .

وقال لي : والآن فلنتفق على شيفرة سرية نوقع بها رسائلنا حتى لا يدس علينا أحد خطابا مزوراً ويستدرجنا إلى كمين .

فأي خطاب أكتبه اليك او تكتبينه إلي يجب ان يتضمن حرف « واو » مشطوبا . أي علينا ان نكتب حرف « الواو » في اى موضع من الخطاب ثم نشطبه

وهذا معنـــاه ان الخطاب سليم غير مدسوس علينا ، وانه صادر منك أو مني

أما البرقيات فنوقعها باسم « آندى » .

فقلت : فاذا جاءتني او جاءتك برقية غير مذيـــلة بهذا التوقيـع ، كانت مزورة .

وعندما آذن موعد القطار بالرحيل ضمني هارى الى صـــدره وطبع على شفتي قبلة وحشية وقال :

– إعلمي إنك إن تزوجت غيرى يا آن فلن أتردد في ان أقتله . وسيكون اتهامي بالقتل في هذه المرة صحيحاً غير ملفق .

الفصل السادس والعشرون

(نقلا عن مذكرات سير اوستاس بيدلر)

إنني رجل محب للسلام والهدوء ، ومع ذلك فقد كنت أجد نفسي على كره مني في غمار المشاكل والاضطرابات . فأولاً لدى سكرتيرى باجيت الذى تدل تصرفاته على الغموض وتثير الشكوك .

وفي أول ليلة وصلنا فيها إلى مدينة الشلالات فوجئت بعد منتصف الليل بليدى بلير تقتحم غرفتي وهي تصرخ في وجهي :

– أين آن بيدنجفيلد ؟.

وأكدت لها انني لم التهمها بعد العشاء ، وإن تمنيت ان أفعل ذلك ، فانها في الواقع ليست مخلوقاً بشرياً وإنما قطعة لذيذة من الحلوى . ثم أردفت :

– المفروض انها الآن راقدة في فراشها .

فقالت : هـذا هو المفروض ، ولكنهـا ليست في مخدعها ، وفراشهـا لم يمس .

– هل سألت عنها الكولونيل ريس ؟.

– إنه هو الآخر غير موجود في غرفته .

– إذاً فالأمر واضح . لقد خرجا يتمشيـان معاً .. ألم تلاحظي أنـه

يميل اليها ؟..

ولكن الكولونيل ريس دخل علينا في هذه اللحظة ، وأكد لنا انه لم ير آن بيدنجفيلد منذ ساعة العشاء .

وأثرنا ضجة في الفندق ، ومضينا نستفسر عن الفتاة وتحركاتها ، وعرفنا من الخدم انها غادرت الفندق وحدها عند منتصف الليل وهي مرتدية ثيابها كاملة ، واتخذت طريق الشلالات . وعلى ضوء المشاعل خرجنا نبحث عنها ، ولكننا لم نهتد الى شيء ، فارجأنا البحث إلى الصباح .

واهتدينا فعلا إلى أثر حذائها بالقرب من الفندق ، فقد استعنا بنفر من قصاصي الأثر . واستطاعوا ان يتتبعوا خطواتها الى نهاية الجسر المفضي إلى الشلالات ، ثم انطمست معالم حذائها وسط عشرات من آثار الأحذية ، إذ زار المنطقة في الصباح الباكر بعض السائحين ، فاختلطت الآثار بعضها ببعض .

وقلت : ليس هناك إلا تفسير واحد .. إنها فتاة خيالية تعيش في الأحلام ، ولعلها أرادت ان تشاهد الشلالات في الليل ، فأخطأت الطريق لشدة الظلام وسقطت في الهاوية ، وجرفها تيار الشلالات .

كانت ملاحظة بريئة ومنطقية ، ولكن شفتي ما كادتا تنفرجان عنها ، حتى أخذت ليدي بلير تولول وتنوح ، في حين اكفهر وجه الكولونيل ريس وعلاه الوجوم .

وبالأمس سرت إشاعة بأن هناك جزيرة منعزلة وسط النهر على مسافة قريبة من المدينة ، وان في هذه الجزيرة رجلا وفتاة يعيشان معاً . وقيل ان الرجل كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أعوام ، وان لديه قارباً يؤجره للسائحين ليطوف بهم ضفاف النهر . أما الفتاة فلم يسمع أحد بوجودها إلا في الأيام الأخيرة فهل تكون هذه الفتاة يا ترى هي آن بيدنجفيلد ، وانها وقعت في غرام هذا الرجل فذهبت لتعيش معه .. إذا كان الأمر كذلك فلا شك

أن ريس سيبذل قصارى جهده للتحري والاستفسار ، وبنار الغيرة تتـأجج في صدره .

وأخيراً قررت ان أسافر إلى جوهانسبرج ، وكان ريس لا يفتأ يحثني على ذلك . وبلغني ان الحال سيئة هناك ، وان الاضطرابات قد بدأت ، فلما تناهت هذه الأنباء الى ليدى بلير عدلت عن السفر وقررت ان تبقى في مدينـــة الشلالات ، وجاءت ترجوني ان أحمل معي تذكاراتها ؛ ولكنني ترددت فاتفقنا أخيراً ان آخذ معي صندوقين صغيرين . أما الدمى الخشبية التي اشتريتها من مختلف المحطات فتشحن في صناديق كبيرة ترســـل إلى كيب تاون بطريق السكة الحديد حيث يتولى باجيت إيداعها في أحد المخازن ريثما تحين ساعة العودة الى انجلترا .

وهكذا سافرت إلى جوهانسبرج تصحبني سكرتيرتي مس بيتجرو بوجهها الدميم الذى لا يطاق .

الفصل السابع والعشرون

حل اليوم السادس من شهر مارس وتراءت في الجو نذر الثورة، وبدأت جوهانسبرج تغلي فوق بركان، وأقسم العمال أن يضربوا عن العمل، وانهم لن يعودوا إلى مصانعهم إلا إذا خضع أرباب العمل لشروطهم. وكانت المدينة على حال سيئة من الفوضى، فدوي الرصاص يسمع، والطعام شحيح في الفنادق.

وفي الصباح زارني أحد مديري الشرطة، وأخذ يحدثني عن مكانتي الاجتماعية، وان الحكومة حريصة على سلامتي، ولذلك فهو يطالبني بالسفر فوراً إلى بريتوريا حتى أكون بمنجاة من المظاهرات ومن الطلقات النارية التي تطير في الهواء وأوضحت له في عناد انني لن اسافر إلى بريتوريا، وانني جئت إلى هذه البلاد لأدرس أحوالها الاقتصادية وأجري تحقيقاً في اسباب الاضراب.

وطال بننا النقاش، ولم يكن في وسعه أن يرغمني على السفر إلى بريتوريا، فاضطر اخيراً إلى الرضوخ لرأيي، وسلمني تصريحاً يخول لي الحق في دخول المدينة.

وما كاد مدير الشرطة ينصرف حتى جاءتني برقيـة من كمبرلي مذيلة باسم ليدي بلير، هذا نصها:

« آن بيدنجفيلد بخير ... انها معي الآن في كمبرلي »

وأدهشتني هذه البرقية إذ كنت أعتقد ان هذه الفتاة وقعت في الشلالات وجرفتها المياه .

الحق انها فتاة عجيبة ! كم من مرة استهدفت للخطر والموت ، ثم إذا بها تبعث من جديد ، كأنما لم يصبها شيء .

وتناولت قبعتي وخرجت أطوف بالمدينـــة لأشتري بعض التذكارات . وفيما أنا واقف أمام أحد متاجر التحف أدير عيني فيما هو معروض في واجهته ، إذا برجل يخرج فجأة من المتجر ويكاد يصطدم بي . ولشدة دهشتي كان هذا الرجل هو الكولونيل ريس .

وقلت له : لم تكن لدي أية فكرة عن وجودك في جوهانسبرج ... متى وصلت إلى هذه المدينة ؟

فأجاب في اقتضاب وخشونة : مساء امس .

– وأين تقيم ؟

وبنفس اللهجة الجافة المقتضبة أجاب :

– مع بعض الأصدقاء

وبدا عليه في وضوح انه ضاق باسئلتي .

وقلت له : أرجو ان تكون لديهم مزرعة للدجاج فقد بلغني ان الطعام شحيح في هذه المدينة .

وتمشينا معاً ، فلما بلغنا فندقي قلت له :

– على فكرة . هل بلغك يا ترى أن مس آن بيدنجفيلد على قيد الحياة .

فأومأ برأسه ايجاباً دون أن يتكلم ، فقلت مستطرداً :

– لقد أثارت هذه الفتاة رعبنا ، ولكن أين كانت بحق الشيطان ؟.. هذا ما أود أن أعرفه

فاجابني ريس : كانت تعيش في إحدى الجزر في نهر الزمبيزي .

– ألعله ذلك الصديق الذي قالت انه كان ينتظرها في ديربان ؟.

– كلا ... انه شخص آخر ... انه ذلك الرجل الذي نتمنى جميعاً أن نقبض عليه .

فهتفت : أتعني .. أتريد ان تقول انه ..

فقاطعني بقوله : نعم . هاري رايبورن بعينه ، او هاري لوكاس ، فهذا هو اسمه الحقيقي .. لقد استطاع ان يفلت مرة بعد مرة ، ولكن الحلقة الآن تضيق حوله ، ولن يلبث أن يقع في قبضة الشرطة .

فتساءلت : والفتاة ؟. آن بيدنجفيلد ؟. أهي شريكة له ؟.

فاجاب : – كلا ... كل ما هنالك أن ما بينهما لا يعدو أن يكون علاقة غرامية .

ثم اردف يقول : لقد سافرت إلى بييرا .

فحملقت في وجهه دهشة وقلت :

– حقاً .. وكيف عرفت ؟.

فاجاب : – لقد بعثت إلي بخطاب من بولاوايو ذكرت فيه انها راجعة إلى انجلترا ..

– أما انا فاعلم عن يقين انها ليست في بييرا .

فقال الكولونيل ريس في اصرار :

– عندما كتبت إلي كانت على وشك السفر إلى بييرا .

وبدا الأمر عجيباً .. أما ان تكون ليدى بلير كاذبة ، واما ان تكون آن بيدنجفيلد هي الكاذبة .

وقلت له وانا اطلعه على البرقية التي جاءتني من ليدى بلير .

– إذاً ما هو رأيك في هذه البرقية ؟.

والقى نظرة سريعة على البرقية : ثم غمغم :

– انها في كمبرلي ؟ ... هذا عجيب ... ما الذي تفعلانه هنـــاك

في كمبرلي ؟..

ثم استأذن في الانصراف متعجلا ، وعلى وجهه سمات التفكر والشرود .

* * *

ما كاد الكولونيل ريس ينصرف حتى جاء مدير الشرطة مرة اخرى لزيارتي.

قال : يؤسفني يا سير اوستاس ان ازعجك مرة أخرى ، ولكني جئت لأمر يتعلق بسكرتيرتك .

فقلت ضاحكاً : ما شأنها ؟. هل اهانها أحدهم فوصفها بالجمال ؟.

– لقد شوهدت تغادر متجر التحف الذي يملكه اجراساتو .

– وأي شيء في هذا ؟. لقد هممت انا نفسي بدخول هذا المتجر اليوم ، فهل كنت تنوي ان تقبض علي ان رأيتني خارجاً منه .

لقد شوهدت سكرتيرتك تتردد على هذا المتجر أكثر من مرة ، وتغيب في داخله طويلا .

ثم أردف هامساً : ان لدينا يا سير اوستاس معلومات سرية مؤكدة بأن هذا المتجر هو مقر المنظمة السرية التي تدعو إلى الثورة واسقاط الحكومة ، ولعل سكرتيرتك عضو في هذه الجماعة ، فكيف التحقت بالعمل لديك ؟.

فأجبته في برود : ان حكومتك هي التي رشحتها للعمل لدي .

وحين سمع جوابي كاد يسقط مغشياً عليه .

الفصل الثامن والعشرون

(آن بيدنجفيلد تكمل سرد قصتها)

ما أن حللت بكمبرلي حتى أبرقت إلى سوزان بوصولي ، فهرعت إلي من فورها دون أن تتريث ساعة واحدة ، وما أن رأتني حتى ترامت على صدري، وراحت تغمرني بالقبلات ، وعبراتها تنهمر على وجنتيها .

ولما تمالكنا جأشنا ، طلبت إلي أن اسرد عليها تفاصيل الأحـــداث التي مرت بي .

ولما فرغت من قصتي قالت لي :

ـــ إذاً فقد وقعت في حب هذا الرجل البدائي المتوحش الذي يعتزل الناس في جزيرة نائية ؟. لقد كنت معجبة بالكولونيل ريس وأعرف انه يميل اليك، ولكم تمنيت أن تتخذيه زوجاً لك .

وساد الصمت بيننا برهة ، ثم قالت سوزان :

ـــ اسمعي يا آن .. عندما بدأت أشك في الكولونيل ريس وان من المحتمل أن يكون هو « الكولونيل » الغامض اقلقني أمر الماسات ، وخشيت أن يفطن بطريقة ما إلى انها موجودة معي فيسلبها مني . وقد حرت في الأمر ولم أدر أين أخفيها ، ثم خطرت لي فكرة .

ثم مالت فوق اذني وهمست تحدثني عما فعلتـه بالماسات وأين أخفتها ، فقلت مؤمنة :

– لقد أحسنت صنعاً .. ولكن ما الذي فعله سير اوستاس بيدلر بالصناديق ؟.

فقالت سوزان : كلا .. لقد أمر بالصناديق الكبيرة ان تشحن إلى كيب تاون ، وقد أخبرني باجيت قبل ان أغادر مدينة الشلالات أن الصناديق اودعت أحد المستودعات العامة ، كما علمت منه انه سيسافر إلى جوهانسبرج لكي يلحق بسير أوستاس .

– والصناديق الصغيرة ؟. أين هي ؟

– أعتقد انها مع سير اوستاس وانه ضمها إلى متاعه .

وعدت أسألها : إذن فباجيت سيسافر اليوم إلى جوهانسبرج ؟.

– هذا هو ما أخبرني به .

– حسناً .. لا بد لي من مقابلته على رصيف المحطة عند مرور قطاره بها.

– وما الذي تبغين منه ؟

– أريد أن أوجه اليه سؤالاً .

– يا إلهي !. لا بد أنه سؤال خطير ؟

– بل هو أخطر سؤال مر بذهني .

وعلمت من مكتب الاستعلامات ان القطار سيمر بمدينة كمبرلي في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ، فيتوقف في محطتها عشر دقائق ثم يتابع مسيرته إلى جوهانسبرج .

ورقص قلبي طرباً حين تلقيت ، في نفس اليوم ، برقية من هاري يقول فيها :

« وصلت سالماً .. كل شيء يسير على ما يرام .. ايريك هنا وكذلك اوستاس ، أما جاي فلا .. أبقي مع سوزان في الوقت الحاضر – آندي ».

وآندي هو التوقيع الشفري الذي اتفقنا ان نوقع به برقياتنا حتى نتأكد انها صحيحة غير مدسوسة علينا . أما « ايريك » فالاسم الرمزي الذي اتفقنا

على استعماله بدلاً من اسم الكولونيل ريس .

وقضيت ساعات الفراغ كلها أتبادل الحديث مع سوزان ، إذ لم يكن لدي ما أفعله .

وبعد ظهر اليوم التالي وقد فرغنا من تناول الغداء سألتني سوزان :

– أتحبين أن أصحبك عند ذهابك لمقابلة باجيت ؟.

– كلا .. إني أؤثر أن القاه وحدي فقد يتحرج من ان يفضي إلي بما في نفسه أمام شهود .

وقبيل موعد وصول القطار بدقائق كنت واقفة على رصيف المحطة أتلهف إلى اللقاء المرتقب ، والسؤال الذي سأوجهه إلى باجيت ، وهل يجيب عليه او يرفض الإجابة ، وما عسى يكون جوابه ؟

وجاء القطار يتهادى على مهل ، ونزل باجيت من المركبة ليتمشى قليلاً على الرصيف ، والفاني منتصبة أمامه وجهاً لوجه .

وحملق في دهشة وهتف في ذهول :

– مس بيدنجفيلد ؟. لقد فهمت انك اختفيت ؟.

فقلت في رزانة وهدوء :

– وها أنذا قد عدت إلى الظهور مرة أخرى . ولكن كيف حالك يا مستر باجيت .

– بخير .. شكراً لك .. هل تنوين العودة إلى خدمة سير اوستاس بيدلر ؟..

– كلا .. لقد جئت إلى المحطة خصيصاً لمقابلتك أنت .. إني أريد ان أوجه اليك سؤالاً .. هو سؤال بسيط ، ولكن تتوقف على الإجابة عليه نتائج خطيرة . إنني أريد أن أعرف ما الذي كنت تفعله في مارلو في اليوم الثامن من شهر يناير – أي يوم مصرع تلك المرأة الأجنبية في فيلا الطاحونة ؟..

وأجفل باجيت وارتعدت اوصاله .

– أهذا هو السوال يا مس بيدنجفيلد ؟. الواقع انني ..

فقاطعته حتى لا يغرقني بسيل من الأكاذيب :

– إنك كنت هناك .. في مارلو .. اليس كذلك ؟

فأجاب : نعم .. كنت هناك .. لأسباب شخصية بحتة تتعلق بي وحدي

– ألا يمكن ان تصارحني بهذه الأسباب ؟.

– ألم يذكر لك سير اوستاس هذه الأسباب ؟

فقلت في دهشة :

– السير اوستاس ؟. أتراه يعرفها ؟.

– طبعاً .. بكل تأكيد .. وإن تمنيت ان لا يكون قد رآني .. ولكني كنت أشعر دائماً أنه لمحني وعرفني ، فقد كان دائماً يغمزني في أحاديثه ويبدي من الملاحظات العابرة ما جعلني متأكداً من أنه يعرف . ومع ذلك فقد كنت أن أصارحه بكل شيء ، ثم أقدم اليه استقالتي .

لم أكن في الواقع أدرك ما يتحدث عنه باجيت ، ولكني تركته يسترسل لا أقاطعه امل لسانه يفلت بالرد الذي أتلهف اليه .

ومضى يقول :

– إني أعرف إني كنت مخطئاً ، ولكن رجلاً منطراز سير اوستاس لايمكن أن يقدر موقفي أو يصفح عني .

فقاطعته في كلمات سريعة إذ كنت أخشى ان يتحرك القطار قبل أن أنتزع منه ما أريد :

– ولكنك لم تذكر لي بعد السبب في وجودك في مارلو ، في ذلك اليوم ؟.

وقال : عفواً ، يا مس بيدنجفيلد .. لقد أوشك القطار أن

يتحرك .

وقفز إلى مركبته ، وبــدأ القطار يتحرك ، وركضت بجانب النـافذة وأنا أردد :

– ما سبب وجودك في مارلو في ذلك اليوم ؟

– إني أشعر بالخجل ..

– أرجوك ان تتكلم .. إن الأمر هام جداً .

وتكلم باجيت .. وعرفت السبب .

الفصل التاسع والعشرون

(نقلا عن مذكرات سير اوستاس بيدلر)

في اليوم السابع من شهر مارس وصل باجيت إلى جوهانسبرج ، وكان مذعوراً افرط خوفه من الأحداث الدامية التي تجري في هذه المدينة. وقد اقترح على ان نبادر الى السفر الى بريتوريا تفاديا للأخطار ، ولما رددت عليه في حزم بأن نيتي قد استقرت على البقاء في جوهانسبرج ، وإنني لن أبرحها مهما ساءت الأحوال - رد علي بأنه يتمنى لو كان معه مسدسه الذي يحتفظ به منذ انتهاء الحرب حتى يشهره دفاعاً عني .

ولم أجد وسيلة للخلاص من ثرثرته إلا بأن أطلب منه ان يأتي بحقيبة الآلة الكاتبة ، وان يشرع على الفور في نسخ مذكراتي بعد ان يذهب بها إلى أحد المكاتب لإصلاحها ، فقد تعودت كلما طلبت منه ان يكتب شيئاً ان يرد علي بأن بالآلة الكاتبة خللا .

ولكنه أجابني على الفور :

- لقد أصلحتها وأنا في مدينة الشلالات ، فقد فتحت جميع الحقائب والصناديق ونسقت محتوياتها .

- يا إلهي !.. إنك دائما تأتي تصرفات تنطوي على الحماقة !.. ألا

تعلم ان الصناديق الصغيرة خاصة بليدي بلير ؟ فما شأنك حتى تعبث بحقائبها ؟.

فقال معتذراً :

– إني آسف .. آسف جداً .

ورأيت ان أتخلص منه في فترة الصباح فقلت :

– والآن أخرج وتريض قليلاً وشاهد معالم المدينة فقد تندلع الثورة فجأة، وبعدها ستجد المدينة خراباً .

وحين استدار يهم بالانصراف ناديته وقلت له :

– وبهذه المناسبة .. ما هي محتويات الصناديق الصغيرة ، الخاصة بليدي بلير ؟..

– سجاجيد صغيرة من الفراء .

فقلت معقباً :

– لقد رأيتها تشتريها كلما توقف القطار في إحدى المحطات . وماذا أيضاً ؟..

– لفافات بعض الأفلام ومجموعة كبيرة من السلال الملونة المختلفة الأشكال وقفازات قديمة .

– ولكن ألم يخطر لك بمجرد ان فتحت اول صندوق ان مثل هذه الأشياء لا يمكن ان تخصني ؟

– لقد ظننت انها تخص مس بيتجرو .

فقلت : وبمناسبة ذكر مس بيتجرو . من أين جئتني بهذه السكرتيرة المشبوهة ؟.

وحدثته بما رواه لي عنها مدير الشرطة ، وكيف أنها شوهدت مراراً تتردد على محل للتحف يعتقد رجال البوليس انه مقر اجتماعات المنظمة السرية القائمة بالتحريض على الثورة . فرد باجيت بأنه لا يعرف عنها شيئاً

أكثر من انه ذهب إلى الغرفة التجارية لبحث عن سكرتيرة مؤقتـــة لي فقدموها اليه .

وبدأ باجيت بعد ذلك يروي لي شيئاً حدث في الباخرة قصر كيلموردن بشأن لفافة أحد الأفلام . وكان أثناء الحديث يضطرب ويتلعثم ويعيد ويكرر ما قاله حتى كدت لا أفهم شيئاً .

وأخيراً ، وبعد جهد وبعد أسئلة كثيرة وجهتها اليه ، خرجت بالخلاصة الآتية : وهي ان وصيفاً بالباخرة قذف بلفة أفلام إلى أحد المقاصير من خلال أنبوبة التكييف .

فقلت له :

– إنها قصة سخيفة لا تعنيني في شيء .

ولم أر باجيــت إلا بعد موعــد الغــداء ، فقد جــاءني مهرولاً ، وفي وجهه إمارات الانفعال الشديد ، وقــال لي انه شاهــد رايبــورن في المدينــة .

وهتفت به :

.. ماذا تقول ؟. هل انت متأكد ؟.

– نعم . اقد لمحت على البعد شخصاً يشبهه ، ولكنني متأكد انه هــو رايبورن بعينه .

.. هذا عجيب !

واستطرد باجيت يقول :

– وهل تدري من الذي كان يتحدث اليه ؟.. إنها مس بيتجرو !

– مس بيتجرو ؟.. إني لا أصدق هذا .

– لقــد رأيتها بعيني رأسي ، يا ســير اوستاس ، يتبادلان الحديث .. وليس هذا فقط ، بل رأيتهما يدخلان معاً محل التحف الواقع عند الناصية

ورغماً عني لم أتمالك إلا أن شهقت ، فتطلع إلي باجيت في استغراب وسألني :

– ماذا حدث ؟.

– لا شيء !. لا شيء !.

واستطرد باجيت :

– وقد انزويت في ركن من الشارع أترقب خروجهما من المتجر ، ولكنهما لم يخرجا ، فلم أتردد في دخول المحل ، ولكنهما لم يكونا موجودين به ، فلا بد أن للمتجر باباً آخر لا أعرفه .

وسكت باجيت هنيهة فقلت أستحثه :

– وماذا أيضاً ؟. أهناك شيء آخر ؟.

– حين عدت إلى الفندق ، رأيت ان أقوم ببعض التحريات عن مس بيتجرو .

ثم خفض صوته ، كما هو شأنه ، كلما أراد أن يفضي بسر من الأسرار :

– نعم .. قمت ببعض التحريات ، فعلمت ان رجلاً شوهد وهو يغادر غرفتها ليلاً .

فغمغمت :

– هذا غير معقول يا باجيت ، فما من رجل يطيق ان ينظر لحظة إلى وجهها الدميم .

واستطرد باجيت وعيناه تبرقان انتصاراً :

– ولم أتردد لحظة واحدة . صعدت إلى غرفتها وفتشتها .

– وهل وجدت شيئاً مريباً ؟.

– نعم ، وجدت هذا

ودس يده في جيبه ، ثم بسطها إلي ، وفيها آلة حلاقة ، وصابون حلاقة . وقال :

– ما حاجة المرأة إلى مثل هذه الأشياء ؟.

فقلت ضاحكاً :

– لعل لها شارباً خفيفاً تضطر ان تحلقه .

– إنك تبدو غير مقتنع ، يا سير اوستاس ؟ . إذن ، فما رأيك في هذه ؟.

وكانت « هذه » باروكة من الشعر .

وسألته :

– وأين عثرت على هذه الباروكة ؟.

– في غرفة مس بيتجرو . فهل اقتنعت الآن ان سكرتيرتك رجل متخف في زي النساء ؟.

– إذن فهذا هو السبب في ضخامة قدميها . لقد لاحظت ان لها قدماً كبيرة لا تتناسب مع قوام المرأة .

وران علينا الصمت برهة ، ثم قال :

– والآن أريد يا سير اوستاس ان أكاشفك بسر يتعلق بي شخصياً .. لقد أدركت من غمزاتك وتلميحاتك بشأن رحلتي إلى فلورنسا انك اكتشفت انني لم أسافر الى ايطاليا أثناء هذه العطلة

وقلت له :

– إذن حدثني بكل شيء يا باجيت ، واكشف لي سرك ..

وأردفت :

– هل ضايقك زوجها ؟. هل فاجأك وأنت في أحضانها

فتطلع إلي باجيت في دهشة وقال :

– زوجها ؟ إني غير فاهم يا سير اوستاس

- زوج السيدة التي اتخذتها عشيقة لك ، فان الأزواج يحضرون أحياناً في وقت غير مناسب .

- قلت لك يا سير اوستاس انني لم أسافر مطلقاً إلى فلورنسا . إنني أعتقد يا سير اوستاس انك رأيتني وعرفتني ، وهذا هو السبب في تلميحاتك وغمزاتك عن رحلة فلورنسا .

فقلت في استغراب ودهشة :

- رأيتك .. وعرفتك ؟. « ولكن بحق الشيطان أين رأيتك » ؟

- لقد ذهبت إلى مارلو .

- مارلو ؟.. وبحق الشيطان ، ما الذي دعاك إلى السفر إلى مارلو ؟..

- لأجل زوجتي وأولادي .

- زوجتك وأولادك ؟.. لقد كنت أعرف ، دائماً ، إنك غير متزوج .

- هذه هي أكذوبتي يا سير اوستاس .. وإني أعتذر عنها ولكن كان لا بد أن أكذب

- منذ متى وأنت متزوج ؟.

- منذ ثمانية أعوام .

- ولكن لماذا كذبت علي ؟.

- إنك أعلنت يا سير اوستاس عن حاجتك إلى سكرتير مقيم يشترط فيه أن لا يكون متزوجاً .

وتقدمت اليك ، وكنت عندئذ غير متزوج ، وألحقتني بالعمل لديك ، لكني ما كدت أستقر في حياتي ، حتى بادرت إلى الزواج .

وخشيت ان أطلعك على ذلك ، فتفصلني عن العمل ، فكتمت عنك أمر زواجي .

- يا إلهي !.. إذن ، فمنذ ثمانية أعوام وأنت تستغفلني ! . وكم ولداً لديك ؟.

- أربعة يا سير اوستاس .

وتريثت برهة مفكراً ثم سألته :

- وهل رويت هذه الحكاية لأحد غيري ؟

- مس بيدنجفيلد فقط ، فقد قابلتني في المحطة في كمبرلي أثناء قدومي إلى هناك وسألتني عن سبب وجودي في مارلو ، في ذلك اليوم . يوم مقتـــل الراقصة الروسية .

- ولهذا ذهبت تزورهـــا ، وأنت تزعم انك ستقضي عطلتك في فلورنسا ؟..

- تماماً .. يا سير اوستاس .. آسف جداً . لقد ذهبت الى بيتي يوم مصرع المرأة الأجنبية في فيلا الطاحونة .

- وأين كانت تعيش زوجتك خلال هذه الأعوام الثمانية ؟

- في مارلو .. إن بيتي هناك .

وبعد سكتة قصيرة قال باجيت :

- لا شك انك غاضب علي ، يا سير اوستاس ، إذ كذبت عليك . ولا سبيل أمامي للتكفير عن أكذوبتي إلا بأن أقدم اليك استقالتي .

فقلت له :

- لا داعي لأن تكفر ، ولا داعي لأن تستقيل .

بعد ان انصرف باجيت ، ملكتني رغبة قوية في أن أتجول قليــلا في المدينة .

ومررت بمحل التحف ، ودلفت اليه .

وهرول الي صاحبه وعرض علي بعض ما لديه .

فقلت له :

- إنني لا أريد شيئاً من هذه التحف العادية التافهة ، وإنما أريد تحفة أصلية . تحفة لا مثيل لها .

فقال : إن لدينا فعلاً تحفاً أصيلة ، ولكننا لا نعرضها إلا على الأخصاء من عملائنا .. هل .. هل لك ان تتفضل بالدخول الى الغرفة الخلفية من المتجر ؟.

وفتح باباً في أحد الأركان ، ومشيت في أعقابه الى الداخل .

الفصل الثلاثون

(ان بيدنجفيلد تروي بقية قصتها)

أطلعت سوزان على الخطاب الذي وصلني وعرضت عليها خطتي ، فقالت : « لا » .

ولكني قلت : بل نعم .

ورجتني سوزان ، ورفضت رجاءها، ونبذت توسلاتها وأخذت تبكي وهي تتضرع إلي ، ولكني لم أحفل ببكائها .

– ولكنك أيتها الحمقاء ستعرضين نفسك للقتل .

ولكنني ازددت عناداً وتشبثاً ، والقيت اليها تعليماتي ، ووعدتني بأن تنفذها بكل دقة وقالت :

– أيتها الطفلة المجنونة !.. في هذه المرة ، سيظفرون بك ويقتلونك .

ذهبت الى الموعد المضروب في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ، طبقاً لما ورد بالخطاب الذي وصلني ، ووجدت في انتظاري هولندياً قصير القامة له لحية سوداء مدببة .

فدعاني الى ركوب سيارة أتى بها معه ، وانطلقت بنا السيارة في طريقها

الى مكان اللقاء

وسمعت دوي طلقات نارية صادرة من بعيد ، فـــاستفسرت منه عن سببها ، فرد :

– انها دوي البنادق .. لقد وقع شغب شديد في جوهانسبرج ، فان الثورة وشيكة بأن تندلع .

وتوقفت بنا السيارة في ضواحي المدينة أمـــام بيت في طريق جانبي منعزل ، وفتح الباب ، وقادني الهولندي إلى قاعة في صدر البهو ، وقـــال يعلن قدومي :

– لقد وصلت الفتاة يا مستر هاري رايبورن .

ثم أطلق ضحكة تنطق بالسخرية وانسحب متراجعاً .

دخلت الى الغرفة وأنا أعلم مسبقاً انني لن التقى بهاري رايبورن ، بل كنت أعرف انهم يستدرجوني الى كمين منصوب .

وكان هذا هو السبب ، في ممارضة سوزان لذهابي الى الموعد المضروب .

ونهض لاستقبالي شخص كان يجلس الى مكتب في أقصى الغرفة ، وقال مرحباً :

- مرحباً بك يا مس آن بيدنجفيلد .

فرددت عليه قائلة في هدوء :

– عجباً ! .. يبدو انني زائغة العينين ، فلست ادري ان كان من أمامي هو القس شيستر أم مس بيتجرو ! ان بينكما تشابهاً شديـــداً حتى لأراني عاجزة عن التفريق بينكما .

فقال : لك ان تعتبري اننا شخص واحد .

وجلست وانا أقول في تهكم :

– يبدو انني أخطأت العنـــوان ، فقد أتيت لأقابل مستر هاري

رايبورن ..

فضحك قائلا :

ـ هاري رايبورن !. لقد كنت أعتقد يا مس بيدنجفيلد انك أذكى من ان تنزلقي في غباء الى مثل هذا الفخ المكشوف .

ـ صدقت .. كان تصرفي دليلا على الغباء .

ويبدو ان شيئا في لهجتي أثار شكوكه اذ قال :

ـ كنت أتصور ان تتلقى هذه المفاجأة بطريقة مختلفة .

فقلت :

ـ أكنت تتوقع مني أن أصاب بنوبة هستيرية .

وساد بيننا الصمت هنيهة ثم قال :

والآن فلنتكلم في العمل .

فقلت :

ـ معذرة يا مستر شيسلر . لقد علمتني جدتي ان لا أناقش شؤون العمل الا مع الرئيس الأكبر دون أعوانه .

فصاح :

ـ ما هذا الهراء ؟ ألا تدركين انك الآن في قبضة يدي ، واني أستطيع بايماءة ان أبطش بك .

فهززت كتفي في استخفاف وقلت له :

ـ دعك من الوعيد والتهديد ، فانــــه لا يخيفني ، ولا يهز من رأسي شعرة واحدة .. ان لم أقابل سير اوستاس بيدلر نفسه ، فلن أتفـــوه بكلمة واحدة .

وبوغت شيسلر عند سماعه هذا الاسم . ثم قال :

ـ لحظة واحدة ..

وانسحب من الغرفة .

ثم عاد بعد دقائق معدودات ، وقال :

– تفضلي معي .. سير اوستاس في انتظارك .

ومضى بي الى الطابق الأعلى ، ونقل على باب احدى الغرف ، ودعاني الى الدخول .

وهب سير اوستاس بيدلر يرحب بي ، وشد على يدي يصافحني بحرارة وهو يقول :

– هلا تفضلت بالجلوس ... اني سعيد بلقائك يا مس بيدنجفيلد .

ثم جلس في مواجهتي ، وتأملني بنظرة طويلة وقال :

– منذ متى وانت تعرفين انني « الكولونيل » ؟

– منذ ان قال لي باجيت انه رآك في مارلو يوم مصرع الراقصة الروسية في حين اننا كنا جميعاً نعتقد انك في « كان » في فرنسا .

فهز سير اوستاس رأسه وقال :

– لقد دبرت الخطة بذكاء وبراعة ، ولكن سوء الحظ أراد ان يذهب باجيت الى مارلو في ذلك اليوم ، فانكشف تدبيري كله ..

لقد بعثت بباجيت الى فلورنسا ، وأخطرت فندقي بأنني ذاهب الى نيس لأقضي ليلة واحدة او ليلتين على الأكثر ، ثم تسللت الى مارلو وقتلتها ، وعدت على الفور الى كان ، دون ان يخطر ببال أحد اني غادرت الريفييرا .

وقلت له :

– وأنت طبعاً الذي حاولت ان تقذف بي الى البحر من فوق سياج الباخرة كيلموردن .. وكنت أنت ذلك الشبح الذي لمحه باجيت يتجول ليلاً متلصصاً في ممشى الباخرة فتعقب خطواته .

فهز كتفيه وارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال :

– اني آسف يا ابنتي العزيزة .. انني لا انكر اني شعرت بالميل اليك منذ

اول لحظة التقينا فيها، ولكن كان لا بد ان أزيحك من طريقي حتى لا تفسدي خططي وتقضي على مشروعاتي .

وعقبت بقولي :

— الحق ، انــك بارع في تدبير الخطــط ، يا سير اوستــــاس ، فقد كانت خطتــك على غاية من الذكاء ، يوم حــاولت أن تقتلني ، عند الشلالات ..

لقد سمعتك ، وأنا أمر بباب غرفتك ، تملي خطاباً على سكرتيرتك مس بيتجرو ، أعنى مستر شيستر ، ولذلك كان في وسعي ان أقسم على انك كنت فى جناحك .

فضحك سير اوستاس وقال فى مرح :

— نعم .. كانت خدعة رائعة ، فانك لم تكوني تعرفين ان شيستر ممثل قدير يجيد تقليد الأصوات ، فقد سبقتك الى الشلالات ، أترقب قدومك ، وتركت شيستر فى جناحى ، يتكلم تارة مقلداً صوتي ، وتارة مقـــلداً صوت مس بيتجرو . فجازت عليك الحيلة واعتقدت انني فى حجرتي أتحدث الى سكرتيرتي .

وسألته :

— ثمة سؤال يدور بخـلدي ... ان باجيت بريء ، ولا ضلع له فى مؤامرتك ، ولا شأن له بها ، فكيف جملته يختار مس بيتجرو بالذات سكرتيرة لك ؟

— الأمر على غاية من البساطة .. لقد أوفدته الى الغرفـــة التجارية ، ليطلب اليهم ان ينتقوا سكرتيرة لي . وكان شيستر ، أعني مس بيتجرو ، في انتظاره في بهو الغرفة التجارية

فلما رأته داخلا ، تقدمت منه وقالت له انني اتصلت تليفونيا طالبــاً سكرتيرة مؤقتة ، وان رئيس الغرفة اختارها للقيام بهذه المهمة ..

وطبعاً ، صدقها باجيت ، بما طبع عليه من سلامة النية ، وعاد بها إلي .

وقلت له في استغراب :

– الذي يدهشني يا سير اوستاس انك لا تتردد لحظة في الاعتراف بما فعلت فهلا تخشى ان أشي بك ؟.

فضحك قائلا :

– ولم أخشاك وانت في قبضة يدي .

وسألته :

– سير اوستاس .. هل أنت واثق من نجاح الثورة ، وسقوط الحكومة الحالية ؟..

– كلا ، طبعاً .. لن تمضي إلا أيام معدودات ، ثم تقضي الحكومة القائمة على الثورة ، وتخمدها .. إن الجنرال سمطس ، شخص قوي .

– ولكنك الحرص على قيام هذه الثورة .

– كلا يا ابنتي . انني مجرد رجل أعمال أبيع السلاح الى الثوار والى الحكومة في نفس الوقت .

* * *

وفرغ كل ما لدي من أسئلة ، وران علينا السكوت برهة .

ثم عدت أقول :

– قلت انك لا تخشى جانبي ، وإنني رهن إشارتك . فماذا تعني يا سير

اوستـاس ؟..

وأجاب :

- لقد استدرجتك إلى عريني .. هذا أمر مفروغ منه ، ولا سبيـل لك الى الفكاك من قبضتي ، ولكن المشكـلة التي تواجهني هي مـا عساي أفعل بك ؟..

إن من السهل جداً ان أقتلك وأتخلص منك ، ولكنني أشعر بالميل اليك ، وبي ضعف من ناحيتك ، ولذلك قررت ان أتزوجك ، وأنت تعرفين طبعاً ان القضاء لا يأخذ بشهادة الزوجة ضد زوجها ، فمهما قلت فـان الحاكم لن تدينني بأقوالك .

فقلت في سخرية :

- هذا اذا رضيت ان أتزوجك .

- بل سأكرهك على ان تقترني بي .

- إذن ، فـأنت واهم . يبدو انك لا تعرفني حـق المعرفة ، يا سير اوستاس .

فهز رأسه في أسى وقال في مرارة :

- هـذا شيء يؤسف له .. وإذن ، فلـن يبقى لدي ، إلا الحـل الثـاني .

وارتعدت للنبرة الوحشية التي نبضت بها كلماته .

وقال : أهناك في حياتك رجل آخر ؟

فأومأت برأسي قائلة :

- نعم .. إني أحب رجلاً آخر .

- هذا ما كنت أتوقع .. لقـد ظننت في البداية انك وقعت في هوى الكولونيل ريس ، ولكني ما لبثت ان تبينت خطئي ..

إنه ، طبعـاً ، ذلك الشخص الذي أنقذك عند سقوطك إلى هـوة

الشلالات .

وتراجع سير اوستاس في مقعده ، وقال وهو يتنهد :

— مما يؤسف له ، انك لا تحبين ان تكوني ليدي اوستاس بيدلو ..

وبعد سكتة قصيرة قال :

— والآن حدثينا يا فتاتي بقصتك كلها .. وأحب ان انذرك : لا داعي للكذب .

وكنت أعرف هذا ... كنت أعرف أنه أذكى من أن أستطيع خداعه .

* * *

وبدأت أروي له القصة ، منذ بدايتها ، دون أن أكذب في حرف واحد .

فلما فرغت منها قال :

— إنها لقصة عجيبة حقاً . قصاصة ورق تلتقطينها من عرض الطريق تدفع بك إلى كل هذه المغامرات والأخطار . لو ان غيري مكاني لما صدق حرفاً مما تقولين ، اما أنا فأومن بكل كلمة نطقت بها ، فان روح المغامرة والتحدي تطل من عينيك .

ثم استطرد :

— إنك ، يا فتاتي ، ما نجوت من الموت إلا لأنك إمرأة محظوظة ، وإلا لما أفلت من يدي ..

إنني احترفت حياة المغامرة ، ولما أبلغ العشرين بعد ، أما أنت فمجرد هاوية . وعندما يواجه الهواة المحترفين ، فالغلبة دائماً للمحترف — لولا ان حالفك الحظ .

وقاطعته بقولي :

— لقد رويت لك قصتي دون أكذوبة واحدة ، فما الذي تنوي ان تفعله بي الآن ؟

— المهم ان أعرف اولاً اين الماسات .

— إنها مع هاري رايبورن .

فارتسمت على وجهه ابتسامة مرحة ساخرة وقال :

— جميل جداً .. إني أريد هذه الماسات .. وفي الحال .

فأجبت :

— مستحيل .. إنك لن تجد وسيلة للحصول عليها .

— إسمعي يا فتاتي .. إن لدي في الطابق الأسفل رجلاً الف هذه المهام ، وحسبه إيماءة من إصبعي فيزهق أنفاسك .

ومع ذلك ، فالخيار لك : إما حياتك ، وإما الماسات ، فاختاري ما تشائين ..

فقلت في شيء من التردد :

— وهاري ؟. ما عسى ان يكون من شأنه ؟

فلاحت على شفتيه ابتسامة لطيفة وقال :

— إنني شخص عطوف ، رقيق القلب ، وأكره ان أفرق بين عاشقين . فبمجرد ان أتسلم الماسات ، سأطلق سراحكما ، على شرط الا تتدخلا في شؤوني مرة أخرى .

— وما هو الضمان على انك ستفي بوعدك ؟

— لا ضمان على الاطلاق ، يا طفلتي العزيزة — فيما عدا مجرد

صكلفي .

وما من شك ، في انني كنت أريد منه ان يعرض علي مثل هـذا الاقتراح ، فهو الشيء الوحيد الذي يتفق مع الخطة ، التي وضعتها قبل حضوري الى لقائه .

ولكني ، أبديت شيئاً من التمنع والممارضة ، حتى لا أثير شكوكه .

وأخيراً ، قبلت اقتراحه ، متظاهرة بأني أذعنت له ، على كره مني .

ثم قال :

– والآن خذي ورقة وقلماً ، وسطري الى حبيبك هاري رايبورن الرسالة التي سأمليها عليك .

وتناولت القلم ، وتهيأت للكتابة فقال :

– اكتبي ما سأمليه عليك ، وإياك ان تزيدي كلمة واحدة .

وبدأ يملي علي ما نصه :

« حبيبي هاري

« أعتقد انني اهتديت الى الوسيلة التي يمكن بها إثبات براءتك ، من تهمة سرقة ماسات كمبرلي وتطهير اسمك .

« فأرجوك ان تتبع هذه التعليمات بكل دقة :

« إذهب الى محل التحف المملوك لأجر أساتو ، واطلب منه ان يريك « تحفاً أصيلة ممتازة » ، وسيجيبك ان لديه مثل هذه التحف ، وسيدعوك إلى دخول الغرفة الخلفية من متجره .

« فاصحبه اليها ، وستجد هناك ، في انتظارك ، رسولاً من قبلي سيأتي بك إلي .

« لا تنس ان تحضر الماسات معك ، وإياك ان تفضي الى أحد بشيء عن خطابي هذا اليك » .

وكف سير اوستاس عن الاملاء وقال :
— والآن ذيلي الخطاب بتوقيعك ، ولك ان تتخيري ان شئت أشـــد الكلمات تعبيراً عن حبك .

فتناولت القلم وكتبت :
« حبيبتك المخلصة الوفية »
« آن بيدنجفيلد »

وتناول سير اوستاس الخطاب مني ، وتلاه على مهل ثم قال :
— حسناً .. إنه واف بالغرض تماماً .. والآن اكتبي الاسم والعنوان على المظروف .

ودق جرساً ، وهرع شيستر إلى تلبية النداء .
وقال له :
— أريد ان يصل هذا الخطاب إلى صاحبـــه ، في الحال ، وبالطريقة المعتادة .

ونظر شيستر الى الاسم المسطور على المظروف ، وامتقع وجهه ، وكان سير اوستاس يرقبه خفية .
وقال له :
— أهو صديق لك يا شيستر ؟

وأجفل شيستر وأجاب :
— صديق لي ؟ . كلا .. اني لا أعرفه .
فابتسم سير اوستاس ابتسامة لطيفة وقال :

– هذا عجيب ، فانك تحدثت اليــــه بالأمس ، في جوهانسبرج ، حديثاً طويلاً .

فازدرد ريقه وقال :

– لا أدري إن كان هو أم لا .. لقد أقبل علي شخص لا أعرفه وطلب مني بعض المعلومات عنك وعن الكولونيل ريس ، وبطبيعة الحال ، قدمت اليه معلومات مضللة .

– بديع !. بديع جداً !.

وتطلعت الى وجه شيستر وهو يغادر الغرفة ،ورأيته ممتقعاً شديد الشحوب لفرط فزعه ورعبه .

* * *

وما كاد يوصد الباب وراءه حتى قال سير اوستاس :

– إن شيستر خانني واتفق مع أعدائي .

ثم رفع سماعة التليفون الداخلي وتكلم فيها قائلاً :

– شوارت .. راقب شيستر جيداً ، وإياك ان يغادر البيت ، لأي سبب كان ، دون امر مني .

وحين أعاد السماعة مكانها ، قلت له :

– سير اوستــاس ... هــل تسمح لي ، بأن أوجه اليــك سؤالاً ؟.

– سلي ما بدا لك ، ولن أضن عليك بالجواب .

- إنك تعرف هاري رايبورن حق المعرفة ، فلماذا ألحقته بخدمتك ، سكرتيراً لك ، ولم تسلمه الى الشرطة ؟.

- لأني كنت اريد هذه الماسات اللعينة ..

كانت نادينا تستغل هاري في تهديدي ، فقد أنذرتني بأنها ستسلمه الماسات إن لم أنقدها ثمنها طيباً .

فدعوتها الى فيللا الطاحونة وقتلتها لأستولي على الماسات ، ظناً مني انها كانت تحملها معها ، ولكنها كانت أذكى مني وأدهى .

وكان زوجها كارتون قد مات ايضاً ، مصعوقاً بالقضبان المكهربة ، ولم يكن لدي اي أثر يرشدني الى مخبأ الماس .

ثم علمت ان برقية أرسلت الى نادينا من الباخرة كيلموردن ، وإن كنت لم أعلم ان كان صاحبها هو كارتون ام رايبورن . واستطعت ان أحصل على صورة هذه البرقية .

فاذا بها صورة طبق الأصل من القصاصة ، التي وقعت من الطبيب في النفق ، والتقطتها انت ، إذ لم يكن مدوناً بها إلا هذه الكلمات : ١٧ ٢٢ ١ .

فاعتقدت ان هذا التاريخ موعد مضروب لمقابلة رايبورن .

فلما جاءني يزعم انه موفد إلي من وزارة الخارجية ، ليصحبني في رحلتي الى جنوب افريقيا ، بصفته سكرتيراً لي ، أدركت على الفور انه كاذب ، وان الوزارة لم توفده الي . ولكنني حين رأيت لهفته الى السفر ، أيقنت انه ذاهب الى الموعد المحدد في البرقية ، فاصطحبته معي ليكون تحت رقابتي ، حتى اذا وقعت الماسات في يده ، انتزعتها منه بوسائلي الخاصة .

- والكولونيل ريس ؟ ما كان شأنه في هذه الأحداث ؟.

- اني أعرفه من قبل ، وأعرف انه من رجال المخابرات .. وحين وقعت

سرقة الماسات في كمبرلي ، كان موجوداً هناك .. وفي أثناء الحرب كان يحوم حول نادينا ويراقب تحركاتها ، اذ كانت تعمل جاسوسة تحت اشرافي ، ولكنه فشل في الإيقاع بها .

واستطرد سير اوستاس :

– فلما ظهر الكولونيل ريس في الباخرة ، استولى علي الخوف ، وخطر لي انه جاء في أعقابي ..

نعم .. ان الكولونيل ريس هو الشخص الوحيد الذي أخشاه .. انه رجل ذكي قوي الشكيمة شديد العناد .

ورن جرس التليفون ، فتناول سير اوستاس السماعة ، وسمعته يقول في البوق :

– حسناً .. سأقابله بعد لحظات .

ثم التفت الي قائلاً وهو يعيد السماعة مكانها :

– لقد جاءني زائر ، يا مس بيدنجفيلد ... فدعيني أرشدك الى غرفتك .

ومضيت الى غرفتي ، وحمل الي أحد الخدم حقيبة ثيابي .

وكانت بين الحقائب التي طلبت سوزان الى السير اوستاس ان ينقلها مع أمتعته

كما جاءني الخادم باناء مليء بالماء الساخن .

ثم قال لي :

– لقد أمرني ، مستر شيستر ، ان أحمل اليك الماء ، فقد تحبين أن تغتسلي .

وبدأت أتهيأ للاستحمام ، وتناولت كيس الاسفنجة التي سأدلك بـه جسدي .

ولمست شيئاً صلباً في قاع الكيس .

وما كان هذا الشيء الصلب الا مسدساً صغيراً ، وعجبت من الذي دسه في الكيس ؟.

أيكون شيستر هو الذي فعل ذلك ، لأنـــه انضم الى أعداء سير اوستاس ؟..

وفحصت المسدس فاذا به محشو بالرصاص .

وما ان ارتديت ثيابي حتى دسست المسدس في جوربي ، فما يدريني اني قد احتاج اليه

الفصل الحادي والثلاثون

في الحادية عشرة قدم الي الشاي ، وفي موعد الغداء جيء الي بوجبة شهية من الطعام ، وفي ساعة متأخرة من ظهيرة اليوم نفسه دعيت الى مقابلة سير اوستاس بيدلر .

وتحول الي قائلاً :

ـ ان صديقك الشاب في طريقه الينـــا الآن ، ولن تمضي دقائق حتى يصل .

وتطلع الي سير اوستاس بنظرة فاحصة وقال :

ـ لقد حذرتك صباح اليوم من ان تكذبي علي وانت تسردين علي قصتك ، ولكنك حاولت ان تخدعيني في جزء من القصة .

ورفعت اليه وجهي مستفسرة عما يقصد .

فاستطرد :

ـ انك حاولت ان تقنعيني بأن الماسات في حوزة هاري رايبورن ، ولم أحاول ان أقول لك انك كاذبـــة ، وانما سلمت بقولك لغرض في نفسي .

فقد كنت اريد ان استدرج هاري الى الحضور الى عريني هنا .

ولكنني أحب ان أقول لك ، ايتهـــا العزيزة ، ان الماسات كانت في حوزتي ، منذ غادرت مدينة الشلالات ، وان لم اكتشف هذه الحقيقة الا ليلة الأمس .

فهتفت :

- إذاً فأنت تعرف !

فقال باسماً :

- ولعـــله يسرك ان تعلمي ان هذا الأبله باجيت ، هو الذي كشف لي هذه الحقيقة ..

لقد حدثني بالأمس عن لفافة افلام ، القيت الى احدى المقصورات من خلال أنبوبة التكييف ، ولم يكن عسيراً علي بعد هذا ، ان استنتج سر هذا الحادث .

ولما كانت ليدي بلير ترتاب في الكولونيل ريس ، فقد عهدت الي ببضعة صناديق أودعتها شيئاً من متاعها ، وطلبت مني ان أضمها الى متاعي ، وان أشحن بعضها الى كيب تاون ، وأن أستبقي الصناديق الصغيرة معي .

وقد ظن باجيت ، ان الصناديق الصغيرة تخصني ، وأفرغ محتوياتها ليلنسقها .

فلما أخبرني بذلك لمته على انه عبث بصناديق ليدي بلير ، ولما سألته عما تضمه هذه الصنـــاديق ، ذكر لي ان من بين محتوياتها مجموعة من الأفلام .

فخطر لي ان من بينها ذلك الفيلم الذي قذف به الى مقصورتها من أنبوبة التكييف ، والذي استنتجت ان الماس مخبوء فيه .

فعبثت بالأفلام وفحصتها ، فوجدت ان لفافة منها أثقل من غيرها .

فأدركت دون عناء ان هذه اللفافة هي مخبأ الماسات التي أسعى اليها ، وما

كدت أفضها حتى تناثرت منها الأحجار الكريمة

وضحك سير اوستاس واردف يقول :

– مما يؤسف له يا عزيزتي ، انك رفضت ان تكوني ليدي اوستاس بيدلر !.. فالماسات الآن معي في حوزتي ، وأنت وصاحبك هاري رايبورن في قبضة يدي .

ولبثت صامتة أتطلع اليه دون ان أنطق بكلمة .

وتناهى إلى أذني وقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج ، ثم فتح الباب دفعة واحدة ، ودخل هاري رايبورن ، يحف بـه رجلان من أعوان سير اوستاس .

ولاحت على شفتي سير اوستاس ابتسامة انتصار وقال :

– كانت خطتي رائعة !. ان الهواة لا يملكون شيئاً حيال المحترفين !.. ان الغلبة دائماً للمحترف

وقال هاري رايبورن في جفوة وخشونة

– بحق الشيطان ما معنى هذا كله ؟.

وأجابه سير اوستاس في دماثة ورقة :

– معناه يا عزيزي رايبورن انك جئت بنفسك الى عرين الأسد طائعاً مختاراً تسعى على قدميك .

فألقى رايبورن بنظرة غاضبة إلى ناحيتي وقال :

– ولكنك قلت يا آن انني أستطيع أن أحضر في أمان .

فرد عليه سير اوستاس بقوله :

– لا تنح عليها باللائمة ، يا صديقي العزيز ، فأنا الذي أمليتها الرسالة ، التي بعثت بها اليـك ، وكانت في موقف لا يسمح لها بأن تعصى أوامري .

ولكن يجب ان أعترف لك بأنها لم تكن متواطئـة معي ، بل كانت

مخدوعة في . وقد نفـذت انت تعليماتها بكل دقـة : ذهبت إلى متجر التحف ، وما ان دخلت الى الغرفة الخلفية ، حتى الفيت نفسك في قبضة أعدائك .

ونظر إلي هاري خلسة ، وغمز بعينيه غمزة خفيفة ، وأدركت مغزى نظرته ومرماها ، واقتربت من سير اوستاس ، حتى صرت على قيد خطوة واحدة منه .

وقال سير اوستاس في نبرة فوز وانتصار :

– ما أسوأ حظك يا هاري رايبورن !.. لقد سبق ان أفلت من يدي ، أما في هذه المرة فلا مهرب لك .

وأجابه هاري في سخرية واستخفاف :

– أتظن ذلك ؟.. سوف نرى ..

والتفت إلي هاري قائلا في كلمات سريعة :

– آن !.. صوبي اليه المسدس .

وكنت متهيئة أترقب صدور الأمر ، فما كادت شفتاه تنفرجان عن الكلمات حتى أبرزت المسدس من داخل جوربي ، وصوبتـــه إلى رأس اوستاس بيدلر .

وكانت مفاجأة لم يتوقعها أحد .

وحملق سير اوستاس دهشة وذهولاً ، وكذلك حملـق الشخصان اللذان يحفان بهاري .

ودوى صوت هاري في نذير ووحشية :

– آن .. أطلقي عليه النار فوراً إذا أبدى أحد اي حركة .. إياك ان تترددي .

فقلت : ثق إنني لن أتردد .

وبان الخوف في وجه سير اوستاس ، حين رآني ألوح بالمسدس وهتف

برجليه :

– لا تتحركا .. إن إصبعها على الزناد .

وقال له هاري :

– مرهما ان يغادرا الغرفة .

أصدر اليهما اوستاس أمره بالانصراف .

وأغلق هاري الباب وراءهما ، وأحكم إغلاقه بالرتاج ، ثم تحول إلي وأخذ مني المسدس .

وقال سير اوستاس :

– يا إلهي !!.. من أين جاءت آن بهذا المسدس ؟.. لقد فتشت بنفسي متاعها .

فقاطعه هاري :

– دعك من المسدس ، ولا تضع الوقت عبثاً ، ولنناقش ما جئنا من أجله .

فتأمله سير اوستاس بنظرة طويلة وقال :

– لا أنكر ان لك الآن اليد العليا ، ولكن ألا تعلم أن البيت مملوء بأعواني ؟ .

فأغرق هاري في الضحك وقال :

– أتحسب حقاً انه انتصار مؤقت ؟.. إذن انصت إلى هذا ..

فقد ارتفعت من الطابق الأسفل في هذه اللحظة طرقات عنيفة على الباب ، وصوت دوي طلقات نارية .

وشحب وجه سير اوستاس وقال متسائلا .

– ما هذا ؟.. ما هذه الضجة ؟..

– هذا هو الكولونيل ريس ورجاله ..

– ولكن كيف وصل الكولونيل ومن الذي استدعاهم ؟.

- هدىء من روعك يا سير اوستاس . إنك لا تعلم ان بيني و بين آن اتفاقاً شفرياً في كتابة الرسائل ..

اننا نعلم اننا معرضون خلال هذه المغامرة للوقوع في المكائد ، ولذلك اتفقنا على ان نضمن كل رسالة يكتبها أحدنا للآخر حرف « واو » مشطوباً ، فاذا لم يرد حرف الواو المشطوب ضمن الرسالة عرفنا أن كاتبها أكره على تسطيرها بالتهديد .

فلما جاءتني رسالة آن ، التي تستدعيني فيها الى الحضور ، بحثت في سطورها عن حرف « واو » مشطوب فلم أجده ، فأدركت انك أرغمتها على تحرير هذا الخطاب ، فذهبت به الى الكولونيل ريس ، واتفقنا على خطة العمل .

وهكذا بعث ريس ببعض رجاله يراقبون متجر التحف ، ويحيطون به من جميع نواحيه ، فلما غادرته من باب سري ، غير الباب العام الذي دخلت منه ، تعقبني المخبرون السريون ، واكتشفوا موقع عرين الأسد .

***

واشتدت الضجة المتصاعدة من الطابق الأسفل ، وبدا ان رجال الكولونيل ريس شرعوا يحطمون الباب .

واشتد دوي الرصاص ، صادراً من ناحية الطريق ، وتعالت الصرخات .

وقال سير اوستاس بيدلر :

— يبدو ان الثورة قد اندلعت .

وكان على حق في هذا ، فقد دوت بعض طلقات المدافع ، وسقطت قنبلة على البيت المقابل ، فهدمت جزءاً من البناء وأشعلت فيه النار ، حتى كاد أوار اللهب يلفح وجه سير اوستاس ورفاقه .

وقال هاري رايبورن :

— لقد انتهت اللعبة ، يا عزيزي اوستاس ... إنك الآن في قبضة العدالة .

وفي هدوء قال له اوستاس :

— أتظن ذلك ؟ . إنك مخدوع يا صديقي ، فما زالت عندي كلمة أخيرة . أقولها .. ربما استطعت ان تبريء نفسك من تهمة سرقة جواهر كمبرلي ، وربما أمكنك ان تبرهن على انني السارق ، ولكنك لن تستطيع أن تقيم الدليل على انني قاتل الراقصة نادينا ، فكل ما لديك ضدي هو انني كنت موجوداً في مارلو يوم وقوع الجريمة ، ولكن لا أحد يستطيع ان يثبت أن بيني وبين هذه المرأة أية علاقة ..

ثم أردف سير اوستاس في اعتداد وثقة :

— أما أنت فالأمر مختلف بالنسبة اليك ، فأنت تعرفها ، ولديك الدافع الى قتلها ، ثم ان لك سجلا حافلا بالجرائم .

ثم لا تنس يا صديقي انك لص ، ولا تنس ايضاً ان الماسات موجودة عندي في حوزتي ، وهي الوسيلة الوحيدة ، التي تبرئك من تهمة السرقة .

ثم رفع ذراعه وهو يقول :

— وها هي الماسات يا صديقي

وطوحها بأقصى قوته عبر النافذة الى البيت المجاور ، الذي كانت تلتهمه

النيران فوقعت وسط اللهيب المندلع .

وقال سير اوستاس ضاحكاً في سخرية :

— ها هو دليل براءتك من تهمة سرقة كمبرلي قد ابتلعته النيران . ولذلك يمكننا الآن أن نتبادل الحديث في حكمة وتعقل . إنك تريد ان تطهر اسمك من تهمة سرقة الماس ، ودليل براءتك ذهب طعمة للنيران ، ولكنني على استعداد لأن أحرر لك اعترافاً بأنني انا السارق ، وانني أنا أيضاً الذي قتلت الراقصة نادينا ، وذلك مقابل ان تطلق سراحي وتدعني أذهب في سبيلي .

وهتف هاري :

— محال . لن أقبل هذا العرض إطلاقاً.. محال ان أتخلى عن ريس وأدعك تهرب حتى لو كان ذلك على حساب حريتي ..

وضحك سير اوستاس قائلا :

— إنك أحمق مجنون !.. أترفض هذا العرض السخي الذي فيه نجاتك ، وذلك لمجرد اعتبارات أدبية ؟

وقال هاري في إصرار :

— إني أرفض .

وسمعت طلقات نارية تدوي داخل البيت ووقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج ، ثم قرع على الباب ، وحرك هاري المزلاج ودخل الكولونيل ريس شاهراً مسدسه .

وقال يخاطب سير اوستاس :

— أخيراً وقعت في يدي ولا مهرب لك .

فتطلع اليه في هدوء واستخفاف قائلا :

— ماذا تعني بهذا الهراء الذى ترده ؟ .

فأجابه ريس :

— أعني انني اكتشفت شخصيتك الحقيقية يا سير اوستاس . أعني اني

أعرف انك « الكولونيل » ! .. وآخر تهمة أوجهها اليك هي انك قتلت الراقصة ناديتا ، ففي اليوم الثامن من شهر يناير لم تكن موجوداً في « كان » كما تدعي وإنما كنت موجوداً في مارلو ساعة مصرعها .

– حقاً ؟ .. ومن أين جئت بهذه المعلومات القيمة ؟. من صاحبنا هاري رايبورن سارق ماسات كمبرلي ؟ .

– كلا .. بل من شاهد آخر ..

وفتح الكولونيل ريس باب الغرفة ، وأومأ بيده ، وتلبية لاشارته دخل الى الغرفة القس شيستر .

وقال الكولونيل ريس :

– هذا هو الشاهد الذى سيبعث بك الى المشنقة يا سير اوستاس .

وتطلع سير اوستاس الى « رجله » الذى غدر به وغمغم قـــائلا ، في مرارة وأسى .

– صدق من قال : « عندما تغرق السفينة تفر منها الجرذان » .

وانبريت أقول :

– وثمة شيء آخر يا سير اوستاس . انك تعتقد انك رميت الماسات وسط النار ، ولكن هذا غير صحيح ، فانك لم تلق في النيران إلا قطعـــاً من الزجاج ، فاننا لم نخبيء الماس الحقيقي في لفافة الفيلم ، وإنما وضعنا بدله بعض قطع زجاجية على سبيل التمويه .

فسألني سير اوستاس في فضول :

– وهل يمكن ان أعرف اين خبأتم الماسات ؟.

فضحكت وأجبته :

– في بطن دمية الزرافة التي رجوتك ان تحملها .

– يا إلهي !.. ما أغباني إذن !..

وانبرى هارى رايبورن يقول :

– لقد أدهشك ان ترى مسدساً في يد آن بيدنجفيلد، وتساءلت كيف وصل اليها ، فاعلم إذاً ان مساعدك شيستر هو الذى دسه في متاعها . لقد استطعنا ان نضمه الى صفنا في الآونة الأخيرة .

فعاد اوستاس يردد من جديد :

. صدق من قال ان الجرذان تسارع الى الهرب ، بمجرد ان توشك السفينة على الغرق .

وفي استسلام وخنوع مد يديه الى القيد الحديدي .

ودارت الأغلال بمعصميه ، وغادر الغرفة مطأطئاً رأسه مخذولاً .